



دراسات التحالف

أبطال في صمت

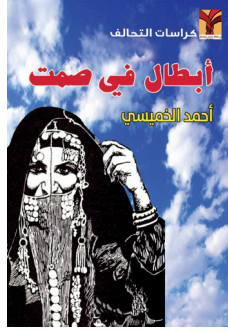
أحمد الخميسي



"أبطال في صمت"

**على اسم مصر التاريخ يقدر يقول ما شاء
أنا مصر عند أحب وأجمل الأشياء**

صلاح جاهين



أبطال في صمت
أحمد الخميسي



حقوق الطبع محفوظة
لحزب التحالف الشعبي الاشتراكي

لوحة الغلاف
الفنان الكبير: هبه عنایت

الإخراج الفني
محمد أمين
أسماء رسلان

المحتويات

7	مقدمة
9	اهداء
11	١- بلا فخر ولا ادعاء
14	٢- حتى ترابك يا مصر.. بطولة
16	٣- حمص أخضر
18	٤- محمد أفندي رفع العلم
20	٥- حرفة المصريين
22	٦- أيمن حسن .. اسم لا ينسى
25	٧- لا بد للانسان أن يكون جميلا
27	٨- طبيب الغلابة .. محمد مشالي
30	٩- طيور بيضاء
33	١٠- فرحانة سلامة.. النار والعطر
36	١١- لا شيء يهزم الانسان
38	٢١- تمثال الأم الشجاعة
40	٣١- لوقا أحمد الخبز والسلاح
42	٤١- شيماء الصباغ
44	٥١- منى مينا أحلى ما فينا
46	٦١- محمد غنيم روح مصرية

- ٧١- عبوات معدنية صغيرة 48
- ٨١- الأم المصرية .. بطولة وجمال 51
- ٩١- البلاطي البيضاء 54
- ٠٢- وجوه ثائرة 57
- ١٢- هي .. هي لعبة؟! 60
- ١٢ - تعريف بالكاتب 63

مقدمة

كراسات التحالف سلسلة من الأدبيات الإلكترونية، تصدر عن حزب التحالف الشعبى الاشتراكى بمشاركة تطوعية من أصدقاء الحزب والعلماء والفاعلين فى مختلف المجالات، بلغة بسيطة تناسب قطاعات أوسع من المواطنين، وفى مساحة محدودة تناسب طبيعة الكراسة وطبيعة القارئ للأدبيات الإلكترونية، وبتكلفة صفرية كونها لا تتطلب أعباء مالية ولا إجراءات إدارية روتينية للإصدار، فضلاً عن مزايا الفضاء الإلكتروني الأخرى، كعابر لأشكال الرقابة المرتبطة بقيود الملكية وحدود المكان.

والفكرة وراء هذا الشكل من الإصدار أن نذهب إلى القارئ فى مكانه فى صحبة، الكتاب المعنيين بقضايا المجتمع، بدلاً من البحث عنها، لنوفر عليه عناء الشراء وبناء البحث فى منافذ التوزيع، وأخترنا أن يكون الاستهلال بكراسة لصديق الحزب (الأديب والكاتب الكبير د. احمد الخميسى)، وفى موضوع يسعى لابرار أبطال فى صمت تأكيداً لأهمية المقاومة (المقاومة حياة)، وإشاعة الأمل وكسر أجواء الاحباط والتجهم، وسوف تتوالى هذه الكراسات دورية متواترة مرنة فى كل القضايا اللازمة لتطور المجتمع، كصناعة الدواء مثلاً فى ظل جائحة كورونا، وتراث وتاريخ لصناعة الدواء المصرى يحفظه علماء مثل د. رؤوف حامد، وكتاب وعلماء ومفكرين ونقابيين معنيين بقضايا التعليم والاسكان والغذاء والصحة والزراعة والصناعة والفكر والثقافة.

ولا يمثل الحزب جهة رقابة على إنتاج المبدعين، هو فقط يوفر نافذة لنشر إبداعهم عن قناعة بأهمية الفكر والثقافة لتحقيق التغيير وأهمية العمل الجماعى لاضاءة الطريق.

مدحت الزاهد

إهداء

إلى روح والدي التي لم تنكسر قط، عبد الرحمن الخميسي الذي كتب في مقدمة كتابه "المكافحون" عام 1951: "على الكُتّاب أن يحطموا أقلامهم إذا أملت بالوطن النكبات ولم يشهر كل منهم يراعه كالحسام يفلق به رعوس الجائرين، عليهم أن يكسروا أقلامهم إذا لم يلبوا صرخة الوطن الجريح ويجندوا هذه الأقلام، ينفخون القوة منها فى الأرواح.. وإذا أهاب داعى الوطن فعلينا أن نخوض الهول والموت كل بما ملكت يداه". والآن بعد نحو سبعين عاما من تلك الكلمات أجدني مندفعاً إلى تمجيد بطولات أبناء الشعب المصري المجهولين، البسطاء، البطولات التي لم تقع تحت عين العدسات. أهدى كتابي هذا إلى والدي، الفنان، المقاتل، وإلى الصديق أحمد بهاء الدين شعبان اعتزازاً بكل ما يربطنا، وإلى أخي وصديقي مدحت الزاهد، الذي ألهمنى فكرة هذا الكتاب قائلاً: "أحياناً تكون إشاعة الأمل العمل الأهم". أهدى الكتاب أولاً وأخيراً إلى الأبطال المجهولين المنسيين في صمت، إلى أرواحهم وصورهم وأصواتهم وضحكاتهم، بأمل أن أكون قد وفقت هنا في أن أكتب بالحبر ما كتبوه بالدم.

أحمد الخميسي

القاهرة فبراير ٢٠٢١

بلا فخر ولا إهداء

ينظر الكثيرون إلي نلسون مانديلا، أو نجيب محفوظ، أو ابن رشد، ويستمدون من بطولاتهم النضالية والفكرية الأمل. أمل في الصمود وأحيانا أمل في الانتصار. ولقد اعتدنا أن نبحث عن البطولة بين الزعماء والثوار وقادة الفكر، لكننا قلما نرى الأمل في الحياة اليومية البسيطة، حينما تزوال البطولة " كعمل يومي لا فخر فيه ولا ادعاء" على حد قول يوسف إدريس. في الحياة اليومية سنلقى بطولة الراحل مصطفى عبيد الذي استشهد في الخامس من يناير ٢٠١٩ وهو يقوم بتفكيك عبوة قنبلة غرزا مجرمون على سطح مسجد "الحق" المجاور لكنيسة "العذراء مريم" بهدف تفجيرها في احتفالات أعياد الميلاد، فافتدى مصطفى عبيد بحياته وحدة الوطن، في صمت، بلا فخر، ولا ادعاء، ومنحنا الأمل في أن مصر ستبقى بخير. الأمل في حياتنا اليومية الاعتيادية سنلقاه عند الطبيبة وسام رمزي اخصائية القلب، التي كانت تركب القطار في رحلتها من أسيوط إلي الاسكندرية في منتصف يناير ٢٠١٩، وفوجئت بصيحة استغاثة من أم تسأل إن كان بين الركاب طبيب، فتقدمت دكتورة وسام إليها وحاولت اسعاف الطفل، إلا أن حالته كانت تستلزم علاجاً بمستشفى، فطلبت الطبيبة من سائق القطار أن يوقف القطار في أقرب محطة، فرفض وقال لها إن ذلك مستحيل التزاماً منه بالتعليمات، لكنها أصرت حتى أوقف القطار في بنها، وهناك كانت تنتظر الطفل سيارة اسعاف حملته إلي المستشفى لتتخذ حياته. وقد كرمتها جهات كثيرة. هذه مواطنة مصرية بسيطة تمنحنا الأمل في أن بمصر خيراً كثيراً. قبل ذلك بعامين، في مايو ٢٠١٦، عرض أحمد فضل مرعي حياته للخطر حين قام بفصل اثنتي وعشرين عربة عن قطار بضائع اشتعل فيه حريق بسبب ما يحمله من



وسام رمزي

وقود، وجنب أحمد مرعي بذلك المدينة كارثة محققة، وإن تعرض لحروق بنسبة أربعين بالمئة حين تطايرت نحوه كتل النيران المشتعلة من عربات القطار. هذه أيضا بطولة أخرى، وأمل آخر، يبرز بين بسطاء لا نعرفهم، يزاولون البطولة كعمل يومي، بلا فخر ولا إدعاء. منذ أيام قليلة كان المكوجي الشاب سيد طه طلبة يعمل داخل المحل في شارع حسان دياب بمنطقة البساتين حين شاهد بلطجيا معروفا في المنطقة يتحرش بفتاة في الشارع ويحاول احتضانها قهر أنفها وهي تصرخ وتستغيث، فهب سيد طلبة لنجدها، ولم يمنعه أن المتحرش بلطجي خطر فتلقى طلبة عدة طعنات توفي على إثرها، وراحت حياته ليقدّم لنا أملا في أن مصر ستبقى بخير، وأن هناك أبطالاً كثيرين لا نعرفهم. في صباح الثالث عشر من يناير ٢٠١٩ يلعب الأمل مع اسم العميد حاتم صفوت الخشتي، مأمور قسم في أسيوط الذي تلقى في العاشرة صباحا بلاغا عن اندلاع حريق في إحدى دور الحضانة بمنطقة سيتي المواجهة لجامعة أسيوط، وأن الحريق يحاصر المعلمات ومئة طفل لا يستطيعون الخروج من المبنى. قام العميد بإستدعاء المطافيء بسرعة ثم خرج على الفور بمفرده إلي أول سيارة عند باب القسم من دون أن ينتظر اكتمال قوة القسم معه، واقتحم دار الحضانة المطوقة بأسنة اللهب، وأجلى المعلمات والأطفال حتى آخر طفل، وعلى حد قوله فيما بعد: " مقدرتش أمسك نفسي عن اقتحام النار والدخان طالع وأصوات الأطفال وهم يبصرخوا الحقني". وبعد أن أجلى الجميع سقط مغشيا عليه بسبب أسنة اللهب والدخان الذي

طوقه ونقل إلى المستشفى حيث يعالج من الحروق. هي بطولات يومية لا تصدر
شاشات التلفزيون ولا يحصد أصحابها جوائز. في هذا السياق يقول يوسف إدريس:
" إن المعجزات تتحقق على أيدي البسطاء، و هؤلاء هم الذين سيروى عنهم التاريخ
إلى الأبد"، وستبقى مصر بخير مادامت أرضها تطرح بدون فخر أو ادعاء بطولات:
مصطفى عبيد، وسام رمزي، أحمد مرعي، سيد طلبه، حاتم الخشتي، من أولئك
نستمد الأمل في كل شيء.

حتى ترابك يا مصر . . بطولة

حتى تراب الوطن يصبح قوة تنضح بقصص الشجاعة، لهذا تحكي أسطورة قديمة أن أميرا دعا أميرا آخر للمصارعة حسما لنزاع بينهما، فوافق الثاني شرط أن تفرش دائرة القتال بتراب من وطنه، وكان الثاني يوجه ضرباته منتصرا طالما قدماه على تراب وطنه، لكنه يهزم إن زلت قدمه خارج تراب بلده. مع ثورة ١٩ في مصر، عمت موجة اغتيايات بلغت ذروتها بمصرع " السير لي ستاك" قائد الجيش المصري وهو في طريقه إلى منزله في الزمالك. فقد هاجم موكبه في ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ مجموعة من الشباب فتحت الرصاص عليه وألقت على سيارته قنبلة تبين للانجليز أنها يدوية الصنع. توفي " سير لي ستاك" متأثرا بجراحه، وبقي السؤال الأهم: هل انتقل المصريون إلى صنع القنابل؟ وأين؟ ومن الذي يقوم بذلك؟. المصريون قبل هذه الحادثة كانوا يلقون بأنفسهم وهم عزل من السلاح أمام نيران قوات الاحتلال، وكان الشباب حسب وصف عباس العقاد في كتابه " سعد زغلول" يتقدم صفا بعد الآخر فاتحا صدره للبنادق فقط لكي يرفع العلم المصري عاليا، يتساقطون في دمائهم، صفا بعد صف، لأنهم: " لا يطيقون رؤية الجثث المطروحة ولا يطيقون رؤية علم مصر ملقى على التراب". لكنهم الآن يصنعون القنابل؟! وهو تطور جديد في مقاومة الاحتلال بعد أن بلغت محاولات اغتيال مسئولين بريطانيين إحدى وعشرين محاولة حتى عام ١٩٢٤! أين تصنع القنابل؟ من ماذا؟ من الذي يقوم بتصنيعها؟ حاولت الشرطة بقيادة الانجليز الوصول إلى شيء، أي شيء، دون جدوى. وفجأة استيقظت في ذاكرة أحد الضباط قضية قديمة كان قد انقضى عليها ستة أعوام، حين بلغ الشرطة أن شابا



طلعت سالم

مجهولا كان يختبر قنبلة في الصحراء الشرقية بجوار حلوان وانفجرت فيه ودفن في مكان الحادث. لابد أن لذلك الشاب الذي كان يختبر القنبلة علاقة بأخرين، بأولئك الذين يصنعون القنابل الآن. من هم؟ أين هم؟ وهل يمكن لقبره أن يكون خيطا يقود إلى معلومات محددة؟. راحت الشرطة لنحو نصف عام كامل تبحث في الصحراء الشرقية عن قبر مجهول، قسمت الأرض إلى عدة أقسام، ونبشت كل قسم، وحفرت، من دون أن تصل إلى شيء. وعندما أصاب اليأس الضباط وتقرر التوقف عن البحث، فوجئوا بصبي بدوي كان عائدا على جملة من الصحراء وقد وجد عظاما بيضاء صغيرة في مكان جاف. وهولت الشرطة إلى هناك وحفرت واكتشفت بعض الملابس المخبأة بين الصخور، وعثرت على بقايا القنبلة، وعددا آخر من زجاجات القنابل الصغيرة موزعة في الأرض. لكن من هو الذي ضحى بحياته لكي يجرب القنابل؟ لم تجد الشرطة سوى بقايا ملابس بها بعض الأزرار، وجمع البقايا وبالتحري أمكن الوصول إلى الخياط الذي حاكها في القاهرة، ثم معرفة اسم مالكها. من هو؟ نحن لا نعرف، ولا يذكر " توماس راسل" قائد عام الشرطة في مصر الاسم في " توماس راسل حكمدار القاهرة" ترجمة مصطفى عبيد، لهذا يبقى لنا اسمه في تراب مصر، ويصون التراب تلك البطولات، ويمسى حتى تراب الوطن قوة، تتضح بقصص الشجاعة والكفاح، وبوجوه لا نعرفها، يمكننا فقط أن نتخيلها، كما يمكننا أن نتخيل كل البسالة والتضحيات التي ينطوي عليها ترابك يامصر، ومنه تنبت كل يوم قصص

جديدة، مثل قصة طلعت سالم السائق الذي تجاوز الخمسين، وكان يقف داخل محطة وقود فجر يوم الأحد ١٠ مايو قرب شاحنة وقود تحمل خمسة وأربعين طن بنزين، وفجأة اشتعلت الشاحنة على مرأى من الجميع موشكة على تفجير المحطة والبيوت المجاورة. ارتفعت ألسنة اللهب وتجمد الجميع أمامها بذهول، أما طلعت سالم فلم يفكر طويلاً، لا في ابنه محمد ولا ابنتيه ولا بيته، اندفع نحو الشاحنة وقفز إليها وقادها في اللهب إلى منطقة جبلية بعيدة ثم وثب منها، فأنقذ حياة المئات من الموت في مدينة العاشر من رمضان. قال طلعت سالم بعد ذلك: "هناك بيوت قرب محطة الوقود، وكان كل همي أن أخرج بالشاحنة من المحطة، لأنها لو بقيت ثلاث دقائق أخرى لانفجرت ودمرت المحطة والمساكن المحيطة بها. ما قمت به لم يكن إلا الواجب حفاظاً على أرواح الناس". هناك من لا يطيقون رؤية العلم ملقى على التراب، ومن يخترعون السلاح لمقاومة الاحتلال، ومن ينقذون الحياة بأرواحهم، وجميعهم من تراب مصر، التراب الذي لم يكن له اسم أو صورة أو هيئة في الصحراء، ومع ذلك فقد منح قوة الانتصار لكل من قاتل من فوقه. حتى التراب عندنا ينضح بطولة وشجاعة.

حمص أخضر

أحيانا نسمع عبارة "حمص أخضر" فلا تصل ذاكرتنا لأبعد من أوبريت العشرة الطيبة لخالد الذكر سيد درويش، وكان نجيب الريحاني هو الذي بادر بفكرة المسرحية حين عثر على رواية فرنسية بعنوان ذو اللحية الزرقاء فكلف محمد تيمور بتعريبها وكلف بديع خيرى بكتابة أغانيها وطلب من الشيخ سيد تلحينها، وأخيرا قام عزيز عيد بإخراجها، وأنتجها الريحاني على حسابه وكلفته حينذاك، بأسعار ١٩٢٠، ثلاثة آلاف جنيه كاملة! في الأوبريت سنجد شخصية " حاجي بابا حمص أخضر" المملوك الغاشم الذي يتخلص من زوجاته الواحدة بعد الأخرى بدس السم لهن، وقام بدوره استيفان روستي الذي ولد لأب نمساوي وأم إيطالية وقضى حياته في شبرا. ويسخر الأوبريت من غباوة الأمير حمص أخضر وينتهي بالانتصار عليه وغناء الجميع " لازم نكيدك يا حمص أخضر .. دي العبودية خلص زمانها .. والحرية ح يئون أوانها"! لكن حكاية حمص أخضر والاستهزاء به، هي حكاية الطغاة التي امتدت السخرية بهم في تاريخ مصر السياسي أبعد بكثير من أوبريت العشرة الطيبة، ففي منتصف القرن ١٤ عين السلطان شهاب الدين الأمير قشتمر نائبا للسلطنة، فطغى قشتمر وبغى. لكن المصريين - حين تكون أياديهم مقيدة ولا تكفيهم الأسلحة لخلع الطغاة - فإنهم يطلقون الكلمات البطولية بالسخرية اللاذعة، القاتلة التي تحشد وتؤجج وتمهد ليوم قادم. لذلك أطلقوا على الطاغية قشتمر "حمص أخضر"، وأطلقوا على الأمير الفخري لقب "القول المقشر"! وقد لاحظ ابن بطوطة (١٣٠٤ - ١٣٧٨ م) حين زار مصر أن السخرية لدي المصريين سمة أصيلة فوصف المصريين بأنهم جميعا على اختلاف

طبقاتهم " ذوو طرب وسرور وهو". وعندما وقعت معركة مرج دابق بين مصر بقيادة قنصوة الغوري، والعثمانيين، عام ١٥١٦ قرب حلب، انتصر العثمانيون واقتحموا مصر بسبب خيانة " خائر بك " الذي انسحب بجيشه من ميدان المعركة ليتمكن القوات العثمانية من اختراق صفوف الجيش المملوكي، وقد حصل خاير بك على ثمن خيانتته فيما بعد حين عينه العثمانيون واليا على مصر، وحين وجد الشعب المصري أن يديه مقيدتان عن الأفعال البطولية، أطلق كلماته، فسمى خائر بك " خائن بك"، وبذلك الاسم دخل التاريخ. وفي مواجهة الكلمات البطولية، الساخرة، والعنيفة، عمل الحكام الطغاة في مصر على تحصين ذواتهم فابتدعوا ما يعرف باسم " العيب في الذات الملكية" قبل ثورة يوليو، إلا أن تاريخ ذلك القانون يمتد إلي ما قبل ذلك، ففي عام ١٨٦٥ كان هناك قانون مطبوعات عثمانية معمولاً به في مصر ينص على أن " الذي يستعمل ألفاظاً أو عبارات غير لائقة بحق السلطنة السنوية يحبس من ستة شهور إلي ثلاث سنوات أو يؤخذ منه خمسة وعشرون ذهاباً! ثم بلور الطغيان مفهوم " العيب" في صيغة قانونية لمواجهة الثورة العربية وفي خضم اشتعالها، وعندما انكسرت بطولة الثورة العربية، عوض الشعب المصري الواقع المهزوم بكلمات منتصرة، فوصف الخديوي توفيق بأنه " وش القملة". ومن ثم جاء في قانون العقوبات عام ١٨٨٣ أن: " كل من عاب في حق ذات أولي الأمر يعاقب بالحبس من شهر إلي ١٨ شهراً ويدفع غرامة من مائة قرش ديواني إلي ألفي قرش". وفي عام ١٨٩٧ صدر أول حكم قضائي في مصر بتهمة العيب في الذات الخديوية في قضية عرفت باسم " قضية السفهاء " حبس فيها أحمد فؤاد وعلى المنفلوطي ستة أشهر. وفي عام ١٩١٠ قام صيدلي شاب هو ابراهيم الورداني باغتيال بطرس غالي رئيس الوزراء بست رصاصات أصابت اثنتان منهم رقبتة، وذلك لعلاقة الأخير الوثيقة بالانجليز وتمكينه للاحتلال، وحكم على الورداني بالاعدام وهو شاب في الخامسة والعشرين، فحوله الشعب إلي بطل يترنم الناس باسمه، وأطلق الشعب كلماته البطولية: " قولوا لعين الشمس ما تحماشي.. أحسن غزال البر صابح ماشي". وعام ١٩١٥ حوكم أحد المارة بتهمة العيب في حق أولي الأمر، لأنه توقف في الشارع خلال مرور موكب السلطان حسين كامل وأخذ يصيح "



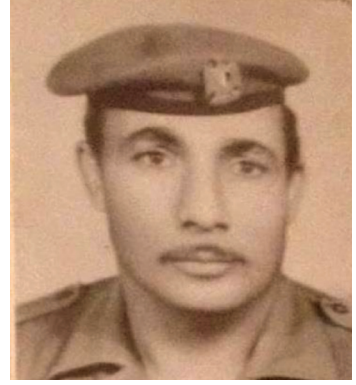
إبراهيم الورداني

يا مسهل يارب! والأرجح أن القضاة قدروا أن قوله " يامسهل يارب " يتضمن رغبة باطنية دفينية في الخلاص من السلطان حسين! وعندما حظر الانجليز فيما بعد ذكر اسم سعد زغلول، وجد الشعب طريقة ليغنى له: " يا بلح زغلول .. يا حليوة يا بلح"، وعام ١٩٢٤ برأت المحكمة عصام الدين حفني من تهمة العيب في الذات الملكية، ليس من باب العدالة القضائية، لكن لرفض المحكمة التصديق أو القبول بجواز مبدأ أن هناك من قد يجروا على إهانة الملك! ولذلك جاء في حكمها أنه " كان من الأليق بالنيابة أن تتريث في استنتاج هذه التهمة الشنيعة التي تكاد ألا تصدر إلا ممن به مس، إذ ليس من السهل التصديق أن مواطنا مصريا قد يعيب في ذات مليكه المقدسة" ! وكان الشاعر العظيم بيرم التونسي أحد أشهر من عابوا في الذات الملكية بهجومه الصريح عام ١٩٢٠ على الملك فؤاد وابنته الأميرة فايقة في قصيدة " القرع السلطاني " التي سخر فيها من زواجه وجاء فيها "مرمر زمانى يازمانى مرممر.. البنت ماشية من زمان تتمخطر .. والوزة من قبل الفرخ مدبوحة .. والعطفة من قبل النظام مفتوحة .. ولما جت تتجوز المفضوحة .. قالوا اسكتوا خلي البنات تتستر " ، وعندما أصبح السلطان أحمد فؤاد ملكا وتحولت مصر عام ١٩٢٦ من سلطنة إلى مملكة هاجمه بيرم بقصيدة شهيرة: " ولما عدمنا بمصر الملوك.. جابوك الانجليز يا فؤاد قعدوك .. تمثل على العرش دور الملوك .. وفين يلقوا مجرم نظيرك ودون؟ بذلنا ولسه بنبذل نفوس.. وقلنا عسى الله يزول الكابوس.. ما نابنا إلا عرشك يا تيس التيوس.. لا مصر استقلت ولا يحزنون". ونفي بيرم خارج مصر. وعام ١٩٣٠ تعرض عباس العقاد لذات التهمة

بسبب مقالاته في جريدة المؤيد الجديد، وحسبت المحكمة أن " العيب وإن لم يكن مسندا لحضرة صاحب الجلالة الملك صريحا فإن ذلك لا يمنعها من مؤاخذه المتهمين! " ومع اختتام ثورة يوليو في ضمير الشعب ضد الاحتلال البريطاني زاد عدد قضايا " العيب " أمام المحاكم بشكل غير مسبوق، وبقيام ثورة يوليو ٥٢ توارى مصطلح " العيب " وحل محله مصطلح آخر جديد بالمعنى نفسه وهو " إهانة الرئيس " وحوكم بموجبه بعض الكتاب عام ١٩٧٨ خلال حكم السادات، ولم يجد الناس سوى الكلمات البطولية يردون بها على السادات، فكتب أحمد نجم في العام نفسه ١٩٧٨: " قوقة المجنون أبو برقوقة..بزبيبة غش وملزوقة.. نصاب ومنافق وحرامي .. ودماغه مناطق موبوءة "، مما جعل السادات يبعث قانون العيب في ١٩٨٠، وسرعان ما اختفى العيب باختفاء السادات نفسه. وخلال رحلة طويلة من تحصين الملوك والرؤساء والطغاة الذين لايجوز ان تمس " ذواتهم المقدسة " بحرف، فإن أحدا لم يتوقف عند جرائم أولئك الحكام وعيوبهم، وحين وصف الخديوي توفيق ثورة عرابي والشعب المصري بأنها " ثورة أولاد الكلب " لم يحسب أحد أن ذلك عيب ! وعندما قال السادات عن انتفاضة يناير ١٩٧٧ إنها " انتفاضة حرامية " لم يقل له أحد إن ذلك " عيب ". وردا على الطغيان، كان الشعب المصري كلما وجد يديه مقيدتين لا تصلان إلى أفعال بطلة، كان يطلق الكلمات البطلة، المقاتلة، الساخرة، فإذا اشتدت القيود عليه وقف في الشارع يهتف في وجه السلاطين: " يا مسهل يارب " .

محمد أفندي رفع العلم

كنا ونحن مازلنا تلاميذ نقف صباح كل يوم في فناء المدرسة لنقوم بتحية العلم قبل دخولنا إلى الفصول، ننتظر من دون حماس أن تنتهي من ذلك الواجب، لكن ما إن يرتفع العلم في السماء وتهتز أطرافه حتى نرتجف، وتشملنا هزة شعور بقدسية الوطن. لقد غرست فينا المدرسة حب ذلك العلم الذي يكرم الانسان عند موته بأن يلفوا به جثمانه، كأنما دثروه بوطنه وبذكريات بلاده وحبها. وهو العلم الذي كتب عنه صلاح جاهين: " كل نجمة في العلم، وكل لون، غزلتهم، نسجتهم، صبغتهم، نور من عنيك، الله عليك". وقد توفي في الأول من مايو جندي مصري بسيط هو محمد أفندي العباسي عن عمر ناهز اثنين وسبعين سنة، كان أول من رفع العلم على الضفة الشرقية لقناة السويس في حرب أكتوبر ١٩٧٣. ولد العباسي بمدينة القرين بمحافظة الشرقية، وهي مدينة باسلة عرفت بمقاومة أهلها لمعسكرات الاحتلال الانجليزي، وحصل فيها على الشهادة الاعدادية، والتحق بالجيش، فأصبح جنديا في سلاح المشاة بإحدى الكتائب في مدينة الاسماعيلية، وقضى ست سنوات في الجيش من يونيو ١٩٦٧ حتى حرب أكتوبر، وكان مع الآخرين كان يتربح لحظة العبور والتحرير، وقال عنها إنها " اللحظة التي طال انتظارها " بعد سنوات من التدريب المكثف، وعندما حانت ساعة الصفر كان العباسي في طليعة المتقدمين إلي إحدى الدشم الحصينة بخط بارليف، وعندما تمكن المصريون من تلك النقطة العسكرية هتف العباسي بفرحة غامرة يخاطب قائد الكتيبة: " مبروك.. ألف مبروك"، فرد عليه: " مبروك يا عباسي وارفع علم مصر يابطل"، فقام بإنزال العلم الاسرائيلي ورفع علم مصر ليرفرف فوق



محمد أفندي العباسي رفع العلم

أول نقطة مصرية يتم تحريرها في حرب أكتوبر. وقد شيع المئات من أبناء مدينة القرين جنازة العباسي وقد لف نعشه بالعلم المصري الذي رفعه عاليا من قبل. أبطال كثيرون في مصر، وفي شعبنا، يرفعون الأمل ويغرزونه عاليا، بعضهم أحياء وبعضهم شهداء مثل النقيب مصطفى محمد شعبان شهيد عملية العريش الارهابية في ٢٥ يونيو وكان معه ستة جنود سقطوا شهداء منهم هشام محمود ومصطفى عدلي وآخرون. وقد تقدم النقيب مصطفى وهاجم الارهابي المفخخ والسيارة التي معه بشجاعة منقطعة النظير ليوقف التفجير في منطقة الرفاعي. لا يكف أبناء الوطن عن ري بلادهم بدمائهم، ولا يكفون عن فتح أبواب المستقبل. ويقول صلاح عيسى في كتابه المهم والجميل "هوامش المقريري" أنه في أثناء ثورة ١٩ مات الكثيرون كي لا يسقط علم مصر في التراب كان من بينهم طلبة صغار وشبان ومنتشردون لا مهنة لهم، ويروي الأستاذ العقاد في كتابه عن سعد زغلول أن ثلاثة عشر مصريا قد تبدلوا على علم مصر، يسقط الواحد منهم شهيدا وهو يحمل العلم، فيحل محله آخر يتقدم ليحمل العلم من دون لحظة خوف أو تردد. ويقول صلاح عيسى - نقلا عن الدكتور على ابراهيم باشا - أنه في أثناء ثورة ١٩ حملت سيارة الاسعاف الى قصر العيني صبيا في الخامسة عشرة من عمره، وكان الصبي كما وصفه دكتور على ابراهيم لا يبدو طالبا أو صانعا، وعندما سأله الطبيب عن مهنته أجابه ببساطة: "أنا متشرد"، فابتسم له الطبيب وقال له: "وماله .. لكن مصري، ووطني".

هذه هي مصر لا يكف الورد فيها عن النماء، ولا يخمد الأمل، ويظل أبنائها يعطون كل ما لديهم، ليبقى اسم مصر التي قال عنها صلاح جاهين: " أنا مصر عندي أحب وأجمل الأشياء، بأحبها وهي مالكة الأرض شرق وغرب، وبأحبها وهي مرمية جريحة حرب".

حرفة المصريين

أبطالنا كثيرون وحياتنا اليومية عامرة بهم، لكن البطولة المصرية تمتاز عن غيرها بأنها وثيقة الصلة بالايمان العميق والتفاؤل والسخرية اللاذعة من كل خطر، والثقة في أن مصر محمية من السماء، مذكورة في القرآن الكريم، أو كما قال الأنبا مكاروريوس: "كل البلدان في يد الله، أما مصر فإنها في قلبه". انظر في ظل وباء كورونا كمية النكت والأغنيات الساخرة التي تخفي الايمان بأن مصر لن تصاب بسوء، وسوف تندهش، انظر قول أحدهم لصديقه: "العالم كله يكرر أننا على ما يبدو سنموت قريباً وأنت جالس هنا تضحك؟. فأجابه الآخر: وهل تريدني أن أموت وعلى وجهي تكشيرة!؟". هذا المزيج العجيب من الايمان والقدرة على الضحك هو ما تمتاز به بطولة المصريين عن بطولات الشعوب الأخرى. وعندما أغرق المطر شوارع القاهرة كان بعض الشباب يجوب الشوارع بسيارته في منتصف الليل لتوصيل الناس التي لم تجد وسيلة مواصلات. وقام أحد المطاعم في السيدة زينب باعلان يوم طعام مجاني، بينما عرض فندق في شارع شريف كل حجراته بالمجان لمن اضطرتهم السيول وتوقف القطارات الى المبيت في الشارع. كل أولئك أبطال يمارسون البطولة: "كعمل يومي لا فخر فيه ولا ادعاء". وقد سجل الأديب محمد ناجي صورة أدبية نادرة من حرب أكتوبر لفلاحة مصرية مجهولة ظلت واقفة بجوار كوبري بسيط في قرية جنيفة على الطريق بين الاسماعيلية والسويس تتابع ببصرها الطائرات الاسرائيلية بينما كان الجنود المصريون ينقلون زملاءهم الجرحى إلي تحت الكوبري، وكانت كلما أقبلوا بجندي جريح تمزق قطعة من جلبابها تضمد بها جراحه حتى لم يبق



عطيات محمد عربود

مزقة على بدننا فمكثت عارية تحت السماء تهتف " الله أكبر". أي بطولة وأي سحر وأي جمال في هذه المرأة؟ بطولة بلا ادعاء ولا فخر. وفي ظل وباء الكورونا أشارت الصحف في ٢٦ مارس إلى إصابة ممرضة في مستشفى جامعة المنصورة الرئيسي بكورونا ونقلها للعزل والعلاج، وقالت زميلة لها: "قعدنا جميعا نبكي لحظة أن عرفنا أنها مصابة بالكورونا، لكننا قررنا أن نغلق القسم الذي أصيبت فيه وأن نعزل أنفسنا مع المرضى لنواصل اعطاءهم العلاج وتركيب المحاليل، ومارسنا عملنا بشكل عادي". تأمل عبارة "مارسنا عملنا بشكل عادي" والشعور العميق بالمسئولية الذي يختفي وراءها. هي بطولات يومية لا تتصدر شاشات التلفزيون ولا يحصد أصحابها جوائز، بطولات تتم بتواضع وإنكار ذات "كعمل يومي لا فخر فيه ولا ادعاء". وسوف نرى ونلمس ونحس بنهر كل تلك البطولات في تفاصيل حياتنا اليومية، لكن البطولة المصرية تمتاز عن غيرها بلمح أساسي: بالتفاؤل والسخرية اللاذعة من كل خطر والايمان العميق بأن مصر محمية من السماء، فهي مذكورة في القرآن الكريم، أو كما قال الأنبا مكاروريوس: " كل البلدان في يد الله، أما مصر فإنها في قلبه". يحق لي، ولن أراد، أن يفخر بأنه ينتمي لشعب ساخر، مقاوم، هزم كل المصاعب والكوارث في تاريخ طويل، ضاحك، وقوي، ومبدع.

أيمن حسن . . اسم لا ينسى

يقول شمس التبريزي: " البذرة لا تصدق أن شجرة ضخمة مخبأة داخلها". ولا يصدق البشر في حياتهم اليومية أن البطولة مخبأة في سلوكهم الاعتيادي إلى أن تحين لحظة يتعرض فيها الوطن للإهانة، فتورق شجرة الشجاعة ومن بذرة صغيرة يفوح عطر الأسطورة. يقول أيمن حسن الجندي المصري البسيط إن عمه كان جندي صاعقة، وعمه الثاني كان في سلاح المدفعية الخفيفة، أما عمه الثالث فقد استشهد في حرب أكتوبر، وأنه - أي أيمن - تشبع من صغره بقصص الدفاع عن مصر، ومن صغره تشرب ملاحم وبطولات حرب أكتوبر. عام ١٩٩٠ كان أيمن جنديا على الحدود حين شاهد ذات يوم كيف انقطع الحبل الذي يرفع العلم المصري، فطار الحبل إلى الجانب الآخر من الحدود حيث الجنود الاسرائيليين، فما كان من أحدهم إلا أن التقط العلم وقام بمسح حذائه بالعلم أمام عيني أيمن. وبعد ذلك بأربعة أيام تعمد الجندي الصهيوني أن يستخدم نفس العلم المصري استخداما قذرا مع مجندة اسرائيلية تحت بصر أيمن! وعبر أسلاك الحدود سدد أيمن نظرة إلى الاسرائيلي وخاطبه في نفسه بقوله: " لقد طلبت موتك بنفسك، فانتظره". وقرر أيمن أن يصطاد ذلك الجندي مهما كلفه الأمر، فظل تسعة أيام كاملة يحسب ساعات ظهور الجندي وأيام إجازاته غيابه، وفي تلك الأثناء جددت اسرائيل عدوانها الفظ على المقدسات في فلسطين، فقرر أيمن أن جنديا واحدا لم يعد يكفي للثأر، وأنه لابد من عملية فدائية أكبر، وراح يخطط لعمليته على مدى شهر ونصف بالكامل من غير أن يطلع أحدا من زملائه على خطته خوفا من أن تتسرب المعلومات. وظل أيمن يعد للعملية الكبيرة خلال شهر



أيمن حسن

ونصف بالكامل ويقول في ذلك: " خططت لضرب أتوبيسين يحملان جنودا وضباطا داخل المنطقة الاسرائيلية، وكنت أعلم أن رجوعي حيا أمر مستحيل، لهذا حصلت على إجازة سافرت فيها إلى بلدي، وهناك سددت ديوني لمن كنت مدينا له، وصالحت من كنت قد أغضبت، وقمت بزيارة من لم أكن قد زرته، وودعت أقاربي محتسبا نفسي شهيدا، وعدت إلى وحدتي. وكنت قد رسمت خط سيرتي وكنت أتدرب عليه يوميا بمختلف الذرائع. كان الأتوبيسان يتحركان بحماية قوية، وفي أوقات محددة، لكنني اكتشفت دقيقتين لا يكون فيهما الأتوبيسان محميان، ما بين السادسة وثلاث دقائق والسادسة وخمس دقائق، حسبت هاتين الدقيقتين كما في الشطرنج، ورتبت كل شيء، لكن واجهتني مشكلة الحصول على الذخيرة من مخزن السلاح، وكان يقيم فيها خمسة جنود هم أخوة وزملاء لي. وقفت عند باب الحجرة أدعو الله أن يفكها من عنده. وبالفعل فوجئت بضابط يسأل جنديا عن وجود تلفزيون، فأسرع الجنود إلى مكان آخر ليجلبوا له التلفزيون، ولم يبق في مخزن السلاح أحد ما عدا جنديا واحدا، فرحت أزحف على بطني إلى صناديق السلاح حتى حصلت على أربعمائة طلقة. وفي فجر ٢٦ نوفمبر ١٩٩٠ هبطت مشيا إلى الحدود الإسرائيلية، وتوقفت عند السلك الشائك الفاصل حين أخذت ساقى اليسرى ترتجف بشدة، وقلت لأخاطبها: " ح تكلمي معي أهلا وسهلا.. لن تكلمي سأقوم بقطعك من بدني"، واحتسبت نفسي شهيدا عند الله. عبرت الحدود واختفيت في مكنن كنت قد حددته قبل ذلك، وكان

هناك على بعد ثلاثين متر ملف للسيارات، المفروض أن يمر به الأتوبيسان. اشتبكت مع الأتوبيس الأول، ثم تظاهرت أنني مصاب أعرج وأنا أتجه إلى الأتوبيس الثاني، وفتحت النار على الجميع، وفي اللحظة الأخيرة شاهدت وجه ذلك الجندي الذي مسح حذائه بعلم بلادي، فأفرغت فيه ست عشرة رصاصة، ورجعت بينما ظلت تطاردني طائرة هليكوبتر اسرائيلية مسافة ثمانين مترا داخل حدودنا المصرية، ولم تستطع إصابتي، فقط طلقة واحدة مرت وشعرت بهوائها البارد قرب رموش عيني، لكنها لم تكن قاتلة. بينما استطعت أنا أن أصفي ٢١ ضابطا وجنودا إسرائيليا وجرح عشرون آخرون، كما أعلنوا فيما بعد. رجعت إلى حدودنا، وكنت أدعو الله لو قدر لي الموت أن أموت داخل بلادي، وسلمت نفسي لقيادة الوحدة التي فوجئت بما فعلت، و كان أول من قابلني هو النقيب محمد العسيري. قلت له: " قمت بهذه العملية كما قام بمثلها من قبل الشهيد سليمان خاطر في أكتوبر ١٩٨٥"، فوضع النقيب يده على كتفي وقال لي: " سنصونك في عيوننا".

لقد حوكم أيمن حسن بعد عودته إلى وحدته لأنه خرق النظام العسكري، ووجهت إليه تهمة القتل بالعمد مع سبق الاصرار ل ٢١ عسكريا إسرائيليا وإصابة عشرين آخرين وإتلاف ست سيارات. وفي ٦ أبريل ١٩٩١ بالسجن مدة ١٢ سنة، وخرج من السجن بعد عشر سنوات عام ٢٠٠٠، وعاد إلى مهنته البسيطة التي يتقنها: السباكة. تبقى في داخل كل مصري هذه البذرة الصغيرة التي تخفي شجرة، تتفتح ما إن يتهدد الوطن خطر أو تمس كرامته إهانة. تبقى بطولات شعبنا وبسالته، التي لا تتوخي مصلحة أو هدفا. أيمن حسن بطل من الشرقية التي طالما أهدت مصر الثوار والمكافحين، وفي مقدمتهم الثائر العظيم أحمد عرابي ليغيروا تاريخها ويؤكدون أن الدفاع عن كرامة مصر جدير بكل ألوان البطولة.

لابد للإنسان أن يكون جميلاً

قد لا تكون عالماً شهيراً بطولتك اكتشاف علمي، قد لا تكون أديباً عظيماً بطولتك أن تحكم تصوير حياتنا بصدق ورهافة، وربما لم تكن متاحة لك الفرصة لتخلق بطولتك تحت القصف دفاعاً عن الوطن. أنت إذن مثلي، ومثل الملايين الآخرين، ومع ذلك فإن لك بطولة تخصك وحدك، ووحدك من يمكن أن يهب العالم تلك البطولة. بهذا الصدد هناك كتاب صغير هو: "مذكرات جندي مصري على الجبهة" تأليف الطبيب الجندي أحمد حجي، وكان مجنداً في القاهرة لكنه طلب بنفسه إرساله إلى الجبهة خلال حرب الاستنزاف إعادة بناء الجيش في الضفة الغربية لقناة السويس، واستشهد هناك عام ١٩٧٢ وهو في الحادية والثلاثين، لكنه ترك مذكراته التي يرصد فيها أحوال الجنود والقتال وفيها يذكر أنه عام ١٩٦٩ كانت إحدى القرى في الاسماعيلية ساحة اشتباكات متصلة مع إسرائيل، تتعرض لقصف يومي، فهاجر منها معظم الفلاحين، وبقي عدد محدود كان من بينهم فلاح عجوز رفض أن يهاجر، وكان يخرج كل صباح بفأسه ليحرث الأرض ويزرعها، وما تلبث قنابل العدو أن تهبط بعد قليل على القرية فتمحو وتتلف كل ما قام به، فيصحو فجر اليوم التالي، يخرج حاملاً فأسه ليحرث الأرض من جديد ويزرعها. وحين أشفق عليه أحد الضباط من زملاء حجي وقال له: "الأفضل أن ترحل يا عم الحاج لكي لا تصاب بأذى"، أجابه العجوز وفأسه على كتفه: "ومن يزرع الأرض؟!". هذه كانت بطولة فلاح عجوز، أن يواصل غرس بذور الحياة كل يوم، وغرس الأمل، والإيمان بانتصار الحياة على الموت. ونحن أحياناً نتوقف لنقول لأنفسنا: "ماذا حققت؟ إنني لم أقم بشيء ذي أهمية". تمر مثل هذه اللحظات



مذكرات الشهيد أحمد حجي

بكل منا، لكن الكثيرين يخطئون بشدة حينما يحسبون ثمار الأعوام المنصرمة بما أنجزوه، ويخطئون حين يتأسفون عندما لا يرون في حياتهم لمعة البطولة وسطوعها. الأصح، والأسلم، أن نحسب ما لم ننجزه بصفته انجازا، وأن يقول كل منا لنفسه: " لم أسرق. لم أكذب. لم أنافق. لم أحنى رأسي لقوة أو سلطة أو نفوذ أو مال. لم أنطق إلا بما أعتقد". هذه هي بطولتنا، نحن الذين لم تسنح لنا الفرصة لتكون علماء أو أدباء أو شهداء عظام، بطولتنا عندما يظل كل منا صامدا في مواجهة المغريات والفساد، بطولتي وبتولتك وبتولات الملايين التي لا نلاحظها، مع أنها تستلزم جهدا خارقا وكثيرا من النقاء ويقظة ضمير، هي انجازات غير ظاهرة، لا نلاحظها، لكن لنا أن نفخر بها. البعض يترك كتابا، أو قصيدة، أو غنوة، أو صاروخا أو دواء جديدا لمرض عضال، أو معادلة رياضية جديدة، هذه كلها انجازات مهمة، لكن عندما يحمي الانسان نفسه من الكذب ومن النفاق ومن الانحناء أمام الأقوياء فإنه يحقق بطولته غير المدونة في كتاب، حتى لو بقيت رواية لم تصدر، وأغنية لم تعزف، ذلك أن حماية النفس من الكذب الذي يأكل الروح بطولة للانسان أن يسعد بها كل لحظة. لهذا علينا أن ننظر إلى داخلنا وأن يقول كل منا لنفسه إنه صان روحه من النفاق، ومن الخداع، ونأى بها عن الصغائر، والغش، قد لا نستطيع أن نضرب مثلا للشجاعة في افتدائه

الوطن كما فعل الكثيرون، وقد لا نتمكن من أن نصبح علماء أفذاذ مثل د. مجدي يعقوب أو د. محمد غنيم، لكن على كل منا أن يعتز ببطولته اليومية التي لا تتكرر. إن حياتنا لحظة قصيرة للغاية، علينا أن نعيشها كما قال أنطون تشيخوف: "في الانسان يجب أن يكون كل شيء جميلاً: أفكاره، وملابسه، وروحه". هذه هي بطولة حياتك اليومية وشجاعتك وانتصارك وانجازك، أن تحيا بشرف وجمال ولا تفقد الأمل.

طبيب الغلابة محمد مشالي

من كثرة الجرائم الفردية الصغيرة، والجرائم الدولية الكبيرة، تبدو النفس البشرية كأنها أرض لا ينبت فيها سوى الشوك، والجشع، والنهم الذي لا يشبع من المال والبريق. وفجأة تتبدد عتمة ذلك المشهد، بأمل مثل لهب شمعة صغيرة، بإنسان، مثل دكتور محمد مشالي الذي ظل وهو في الخامسة والسبعين يعمل في عيادته بطنطا من التاسعة صباحا حتى العاشرة مساء يوميا ولا يستريح حتى أيام الجمعة، وقيمة الكشف لديه عشرة جنيهاً فقط. وعمل د. مشالي بهذا النظام من نحو نصف قرن، منذ أن استأجر شقة متواضعة وفتح فيها عيادته عام ١٩٧٥. يقول د. مشالي إن قيمة الكشف عنده عندما فتح العيادة كانت عشرة قروش فقط وظلت هكذا لسنوات طوال. في حجرة الكشف لديه ستري ملفات المرضى وصحفا وكتبا مكسدة صفوفها طويلة، ويقول د. مشالي في ذلك إنه لا هواية لديه سوى القراءة في كل المجالات، وإنه لا ينسى تأثير كتاب طه حسين "المعذبون في الأرض" وخاصة الاهداء الذي جاء في مقدمته: "إلى الذين يجدون ما لا ينفقون، وإلى الذين لا يجدون ما ينفقون"، ويقول إنه أحس بالتعاطف مع الغلابة دائما ربما لأنه هو نفسه نشأ في أسرة متواضعة. الأغرب من ذلك أن د. مشالي كان حين ينتهي من عمله في التاسعة مساء يتجه ليوصل لعمل حتى منتصف الليل في عيادة أخرى بعيدة بمنطقة "شبشير الحصة"! والسبب في ذلك أن أهالي تلك المنطقة كانوا يعرفونه حين عمل بينهم فترة، فتوجهوا إليه وطلبوا منه أن يكون معهم، ودبروا هم مقر العيادة على نفقتهم. هناك في "شبشير الحصة" قيمة الكشف خمسة جنيهاً فقط!! ود. مشالي



الدكتور محمد مشالي

لا يكشف ويحدد العلاج فقط بل يتولى بنفسه القيام بالتحاليل اللازمة للمرضى ليوفر عليهم نفقات المعامل! وللمريض بالخمسة جنيهاً كشف، وزيارة استشارة، وتحليل! وحين يغادر دكتور مشالي عيادة "شباشير" فإنه يلوح بكفه لأي سيارة مارة فتتوقف على الفور وتقوم بتوصيله، لأن الجميع يعرفون د. مشالي، إنه الطبيب الذي عمل نصف قرن وليست لديه سيارة، لكن لديه محبة الناس أينما تحرك.

يقول د. مشالي عن حياته العائلية، وعن المشاكل التي قد يسببها عزوفه عن الربح إنه أفهم زوجته منذ أن ارتبط بها إنه متعاطف مع الغلابة وقبلت هي ذلك. ويحكي حادثة بعينها حين جاءته طفلة في التاسعة تسعل وقالت له أمي تببع ذرة مشوية في الشارع، وأنا مريضة، قلت لأمي نروح للدكتور، فقالت لي انتظري حتى نبيع شوية ذرة، مفيش فلوس لسه. لكن أنا جئت لك يا دكتور لأنني تعبانة. ويعلق مشالي قائلاً: "أخذ فلوس من الطفلة دي؟! لا طبعاً. حتى العشرة جنية قيمة الكشف يحدث أن تشكو امرأة من أن كل ما لديها هو سبعة جنية! الزباين اللي بتيجي لي تصعب على الكافر. أنا شغلي للفئات التي تأتي وقد اقترضت قيمة الكشف، وبدلاً من أن

يقترض خمسين جنيهاً فلتكن عشرة فقط، هذا أهون". وقد ظلت قيمة الكشف عند د. مشالي عشرة جنيهاً فقط حتى وفاته في ٢٨ يوليو ٢٠٢٠، بينما تصل الكشوف عند بعض الأطباء إلي خمسمائة جنية في ثلاث دقائق، ولأن مشالي أعطى نموذجاً مختلفاً للطبيب، سارع أطباء البيزنس بمهاجمته، مثلما فعل بجرأة وبلا خجل

طبيب يدعى أحمد رفاعي لم يجد في أسطورة مشالي الانسانية سوى أن عيادته ليست نظيفة! وإن كانت عيادة مشالي لم تكن على المستوى فلماذا لم تتبرع لها بشيء مما اكتنزته من أموال المرضى؟. لقد عرف تاريخ الطب والانسانية "مشالي" من قبل، عرف هذه الروح الفذة التي تتعاطف مع الآخرين، وتشفق عليهم، وتضحى بحياتها لأجلهم. عرف ذلك النموذج في الشاعر إبراهيم ناجي صاحب "الأطلال" الذي كانت له عيادتان، واحدة للفقراء وأخرى للأثرياء، وعرف ذلك النموذج في شخص الكاتب العملاق أنطون تشيخوف الذي كان طبيبا يعالج المرضى مجانا، والدكتور محمد محروس الذي رفض مغادرة حي شعبي وظل فيه بكشف رمزي، وهناك بالطبع مثالان ساطعان في العطاء هما دكتور مجدي يعقوب، ودكتور محمد غنيم، وغيرهم. يستحق د. مشالي كل تكريم، وأمل أن تكون هناك جائزة "الانسانية" نقدمها للدكتور العظيم محمد مشالي، لأنه اسم للأمل، ونحن أحوج ما نكون إلى ما يمدنا بالثقة في النفس البشرية وفي المستقبل وفي الانسانية. في كل الأحوال يبقى اسم مشالي راية خفاقة، ودرسا في العلم والانسانية.

طيور بيضاء

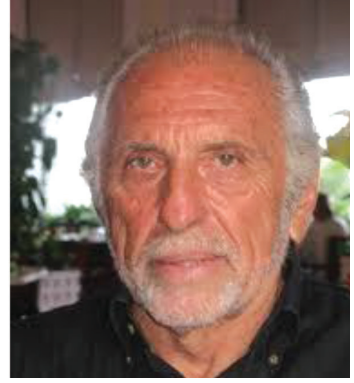
يقول الشاعر رسول حمزاتوف " طارت مئات المراكب إلى نجوم الفضاء، لكني أقول لكم: أيها الناس، أيها الناس، أنتم نجوم السماء الفسيحة، وكم أتمنى لو أطيروا إليكم ولو مرة". نعم . الناس نجوم تمشي على الأرض، تنير الحياة زمنا ثم تنطفئ، لكننا لا نرى من نجوم الناس سوى ممثل سينمائي، أو لاعب كرة قدم، أو مطربة، أما الذين انقضت حياتهم دفاعا عن الوطن أو العلم أو الثقافة، فإن صورهم وأخبارهم وأسماءهم لا تظهر ولو مرة. أقول هذا بمناسبة وفاة نجم شهير منذ فترة بسيطة، وانشغال كل الصحف برحيله، ومساحات البرامج التلفزيونية التي أفردت له، ونشاط وسائل التواصل الاجتماعي في نعيه، هذا بينما توفي في نفس الأسبوع، لكن في صمت، مقاتلون وجنود مصريون عظماء، لم تظهر أسماؤهم ولا صورهم ولو مرة ولم يكتب عنهم ولو حرف. أولهم اللواء السيد الشافعي الذي رحل عن عالمنا في ٩ يوليو ٢٠١٩ فلم يشعر أحد برحيله. هو اللواء البطل السيد الشافعي قائد اللواء الخامس مشاة من الفرقة ١٩ الجيش الثالث ميداني. تحت قيادته قام اللواء في العاشر من حرب أكتوبر بالاستيلاء على مركز القيادة الاسرائيلي في سيناء، و دمر ٢٦ دبابة اسرائيلية، وأسر ديفيد جروس قائد كتيبة الدبابات. يقول اللواء الشافعي في مذكراته: "قررت أن أشن هجوما ليليا صامتا بالمشاة فقط من دون استخدام كتيبة الدبابات، لأن دبابات العدو كانت أبعد مدى من الدبابات التي معي. كونت مجموعات من قناصة الدبابات انقضت في جوف الليل على الأعداء وهم نيام، وأبادوهم، ثم هجم أبطالنا على الدبابات، وكان الجندي المصري يدفع نفسه تحت الدبابة ويصعد



اللواء البطل السيد الشافعي

عليها من الخلف ويلقي قنبلة عليها ويفجرها. هكذا دمرنا ٢٦ دبابة وقمنا بأسر الكثيرين وعلى رأسهم قائد الكتيبة نفسه ويدعى "ديفيد جروس"، وقد سألته عن رأيه في المعركة التي دارت فقال: "لقد حارب رجالكم بطريقة مذهلة.. هل تعطونهم حبوب الشجاعة؟"، فقلت له: "لا. لكنه الجندي المصري". لم تظهر صور اللواء البطل على الشاشات، ولم تشغل الصفحات الأولى من الصحف، ولا شاغلت وسائل التواصل الاجتماعي، لقد أضاء بحياته حياتنا، ثم انطفئ في هدوء.

البطل الثاني هو عمرو البتانوني الذي توفي في ٢٠ يوليو قبل رحيل الفنان فاروق الفيشاوي بخمسة أيام، وبينما انشغلت الدنيا بالفيشاوي لم يجد البتانوني شيئاً من الاهتمام. كان البتانوني ضابطاً بالبحرية لواء الوحدات الخاصة الضفادع البحرية. وعندما تقرر خلال حرب الاستنزاف في شهر فبراير ١٩٧٠ تفجير المدمرة الاسرائيلية إيلات تشكلت لهذا الغرض مجموعتان، واحدة منهما بقيادة البتانوني ومعه الرقيب على أبو ريشة. تحركت المجموعتان من الاسكندرية بالمعدات إلى العراق، وهناك كان في انتظارهما أعضاء من منظمة فتح الفلسطينية، ومن العراق سافرت المجموعتان برا إلى الأردن، وفي الليل هناك جهزوا الألغام لتفجير المدمرة. وفي الساعة ١٢ و ٢٠ دقيقة من صباح يوم ٦ فبراير نزل الأبطال إلى المياه، وسبحوا في الظلمة تحت الشباك، وقاموا بتلغيم المدمرة، وضبطوا توقيت الانفجار، ثم رجعوا سباحة تحت الشباك. وفي صباح ٦ فبراير بدأت انفجارات النصر تدوي، وراحت البوارج الاسرائيلية تبحث بجنون عن منفذي العملية، بينما كان البتانوني وزملاؤه قد وصلوا



البطل عمرو البتانوني

سباحة إلي الشاطيء الأردني، واختفوا. رحل البتانوني في صمت، ولا أظن أحدا سمع اسمه، ولا أظن أن طلاب المدارس وقفوا حدادا عليه في ذلك اليوم، ولا توقفت عند سيرته وسائل الاعلام. وفي نفس اليوم الذي توفي فيه النجم فاروق الفيشاوي توفي في صمت الفدائي محمود عواد، بطل العمليات الفدائية خلف خطوط العدو في سيناء عقب نكسة ٦٧، وأول من أوقع بإسرائيلي أسيرا، وأحد أبطال المقاومة الشعبية في السويس خلال حرب ١٩٧٣- وفارس معركة ٢٤ "الأربعين" في السويس، والحاصل على نوط الامتياز من الطبقة الأولى من الرئيس أنور السادات. توفي عن عمر يناهز الثمانين عاما وبقيت منه سيرته وصيخته الشهيرة: " الوطنية لا تباع ولا تشتري".

هذه هي النجوم التي أحب أن أطيير إليها، وهذه هي النجوم التي ينبغي أن تشغل الاهتمام والوجدان لكي يتعلم أبنائنا أننا حينما نتطلع إلى السماء، إلي أعلى، إنما نبحت عن هذه النجوم، وعن هذه الأرواح التي تعبر في السماء مثل طيور بيضاء لا تموت.

فرحانة سلامة . . النار والعطر

نحن نحب المرأة ونعشقها، فهي الأم التي ههدتتنا ونحن صغار، أطعمتنا وسهرت الليل كله بجوارنا إلى أن نغفو، نحن نحب المرأة فهي الأخت الغالية التي تهب إلى نجدتنا ساعة الضيق، وهي زميلة العمل والزوجة الحنون. لكننا لا نعرف قدرات المرأة ولا نتخيل أنها قد تتحول في لحظة من العطر الرقيق إلى بارود مشتعل إذا تعرض الوطن إلى الخطر. وحينئذ نرى وجهها آخر مذهلا، بطلا، وجسورا. من أولئك النساء كانت الروسية " لاريسا رايسنر" التي وصفها الأديب فاديم أندرييف قائلاً: " لم يكن هناك رجل واحد يمر بها دون أن يتجمد في الأرض كالعمود يتابعها بنظراته حتى تختفى، ولم يكن ثمة شخص يجروء على الاقتراب منها، فالكبرياء التي تشبعت بها كل حركة من حركاتها وكل انعطافة من رأسها كانت تحميها بجدار صخري لا يدمر". وقد تحولت " لاريسا" إلى أسطورة في أعقاب ثورة ١٩١٧ التي أسقطت الحكم القيصري في روسيا، وكان ذلك ليلة استيلاء الثوار على القصر الشتوي للقيصر، حين ظهرت لاريسا على سطح المدرعة "أفرورا"، وحدها بين البحارة الثائرين الذين علا الغضب وجوههم. كانت " لاريسا" المرأة الوحيدة التي ظهرت بين جموع الرجال وقد تدلت من رأسها ضفירתان من الشعر الأسود الفاحم، كأنها تمثال من المرمز للجمال. وكان مقدرا لها أن تكون هي - ولا أحد سواها - من يعطي الأمر بإطلاق المدافع من المدرعة البحرية على القصر الشتوي، لتعلن بذلك انتصار ثورة ١٩١٧ التي نقلت روسيا من حال إلى حال. توفيت " لاريسا" وهي في الحادية والثلاثين بعد أن عاشت حياة قصيرة مثل وردة من النار والعطر. وفي تاريخنا



البطلة فرحانة سلامة

المصري زهور من أرضنا، من نساءنا، لدينا فرحانة سلامة التي ولدت في ٤ سبتمبر ١٩٢٥ في سيناء، وعندما شنت إسرائيل عدوانها الإجرامي على مصر عام ١٩٦٧ واحتلت سيناء والضفة الغربية وهضبة الجولان السورية انتقلت فرحانة حسين سلامة من سيناء وقصدت منطقة إمبابة في القاهرة للعيش والكفاح وتربية أولادها. طوت فرحانة صدرها على حزنها بسبب الهزيمة في ١٩٦٧، وسالت دموعها وهي تستمع إلى خطاب التنحي الذي ألقاه عبد الناصر في ٩ يونيو، وراحت في إمبابة، الحي السكني الجديد عليها، تسأل: كيف يمكن لي أن أخدم بلدي؟ كيف يمكنني أن أساهم في رد العدوان؟. ووجدت فرحانة الاجابة عند ابنة عمها التي فتحت لها الطريق. في تلك الأثناء كانت المخابرات المصرية قد أنشأت " منظمة سيناء " التي تتولى تدريب الفدائيين على حمل القنابل وإشعال الفتيل وطرق التفجير وتلقى الأوامر من القيادة والرد عليها من داخل سيناء، وكانت التدريبات تتم بدقة وفي سرية تامة. وحين انتهت التدريبات بدأت فرحانة تسافر إلى سيناء لتنفيذ العمليات الفدائية، ويقول ابنها شوقي عن تلك الفترة: " كانت أُمِّي كانت تغيب عن المنزل ونحن صغار ولدة طويلة قد تصل إلي أكثر من شهر وعندما تعود كانت تقول لنا إنها تشتري قماشاً وتسافر لبيعه في سيناء لكي تدبر لنا المصاريف والاحتياجات بعد انفصال والدي عنها". في رحلاتها إلى سيناء كانت فرحانة تنزل في بيتها الواقع في مدينة الشيخ زويد التي تبعد عن العريش عاصمة محافظة شمال سيناء بنحو ٣٠ كيلو مترا، وهناك أشاعت بين الجيران أنها تتاجر في الأقمشة، ولم يشك أحد في أنها " تاجرة قماش"، ذلك

أن التقاليد البدوية في سيناء تمنع ظهور المرأة بين الرجال، ناهيك عن أن تخرج إلى ميدان المعارك. هكذا تخفت فرحانة سلامة إلى أن حان موعد أولى العمليات الفدائية، فقامت بعرز قنبلة في طريق قطار العريش قبيل وصوله بلحظات، وكان القطار محملاً بالجنود الاسرائيليين، وفجرت القنبلة القطار في لحظات قليلة لتسجل فرحانة سلامة أولى عملياتها الفدائية. وبعد ذلك توالى العمليات وكانت فرحانة تتربى سيارات الجيب الاسرائيلية التي تمر في صحراء سيناء، وقبل أن يقترب رتل السيارات كانت فرحانة تقوم بإشعال فتيل قنبلة معها وتلقيها بسرعة في طريق السيارات فتتحول في لحظة إلى قطع متطايرة من الحديد المشتعل. وكانت فرحانة تسافر إلى القاهرة من وقت لآخر لتنقل الرسائل والذخائر من القيادة إلى الفدائيين في منظمة سيناء. وقد ذكرت أنها كانت تستقل قاربا ينقلها إلى الضفة الشرقية من القناة وقد خبأت عددا من القنابل بين ثيابها، وكان القارب يضم عددا آخر من الركاب، وصعد الاسرائيليون للتفتيش، وتسارعت دقات قلبها خوفا من أن يكتشفوا القنابل التي تحملها، لكن الله سلم ولم يقتربوا منها. هذه المرأة الشجاعة، التي تشكلت من عطر الأمومة ونار الوطنية، أخفت حتى عن أبنائها أنها فدائية، ومقاتلة، وقد قال ابنها شوقي بعد أن توفيت في ١١ أغسطس ٢٠١٤: " لم نعرف شيئا عن بطولات أمنا إلا بعد انتهاء معارك أكتوبر ١٩٧٣ عندما كرمها الرئيس السادات، ومنحها وسام الشجاعة من الدرجة الأولى ونوط الجمهورية. وطن تولد فيه فرحانة سلامة يحق لي أن أفخر به وأن أعلن بملء صوتي أنني سعيد أنني ولدت هنا على الأرض التي نمت فوقها زهرة النار والعطر: فرحانة سلامة، كما يحق لي أن أتذكر ثانية وثالثة ما كتبه والدي في مقدمة كتابه " المكافحون" عام ١٩٥١: " ومصر السخية العظيمة، مصر العروس الخضراء التي تتفتح العيون على سحرها وفتنتها، جديرة بأن نقدها ما طلع الصباح وما جرى النيل وما دبّت في أجسادنا الحياة وخفقت بين صدورنا القلوب".

لا شيء يهزم الإنسان

سيهزم الأمل والأغاني كل وباء مهما كان خطره. هذا تاريخ الانسانية وإرادتها التي لم تنكسر قط. وما من معركة إلا وانحسرت فيها الأوبئة مهزومة وخرج الانسان منها ظافرا على وقع الأغاني والأمل. وليست الكورونا الأولى وقد لا تكون الأخيرة، فقد تعرض العالم ومصر في العهد العثماني لطاعون عام ١٥٢٤، وقتك الوباء بثلت سكان القاهرة التي فقدت وحدها أكثر من ستين ألفا من أبنائها، وفقد العالم نحو ٧٥ مليون نسمة، ولم يحطم الموت إرادة الحياة ولا التفاؤل بالدنيا والوطن. وهاجمت الكوليرا مصر عشر مرات في تاريخها الحديث بدءا من ١٨٣١، وانتهاء بالمرّة الأخيرة عام ١٩٤٧، وفي المرّة الأولى حاول كلوت بك مؤسس مدرسة الطب الحديثة التصدي لها مع تلاميذه، لكنها قتلت نحو مئة وثلاثين الف نسمة، وحين رجعت الكوليرا عام ١٨٨٣ رجعت من عند مولد الشيخ أبو المعاطي بدمياط مما أدى لوفاة ١٥ ألف انسان، وخارج مصر أودت بحياة الملايين حتى تمكن الطبيب البريطاني جون سنو من التوصل لكيفية الحد من انتشار الوباء. وظهرت الإنفلونزا الإسبانية ما بين ١٩١٨ و ١٩٢٠، وكانت من أشد الأوبئة دموية إذ مات فيها حوالي خمسين مليون شخص في العالم، وبلغ عدد الوفيات في مدينة فلادلفيا الأمريكية ألف شخص يوميا. وظهرت بعد ذلك عام ١٩٦٨ انفلونزا عرفت بانفلونزا هونج كونج، وبلغ عدد ضحاياها نحو مليون، ثم انفلونزا الطيور عام ١٩٩٧، وانفلونزا الخنازير في ٢٠١٠ التي أصابت نحو ستين مليون نسمة في أمريكا، ثم وباء " إيبولا " عام ٢٠١٦ الذي سمي على اسم نهر قريب من المنطقة التي تفشى فيها في غينيا. وفي يوم من الأيام كان الجدري

وباء، والسل مرضا عجز العلم عن التصدي له ! لكن الانسان خاض كل تلك المعارك، مرة بعد أخرى، ولم يهزم قط، ولا مرة، كان يخسر قليلا، لكنه يحشد قواه وينتصر، ويعكف على البحث العلمي، ويخترع، ويفكر، ويكتب، ويغني، ويواصل البقاء عاشقا، وشاعرا، ومنشدا، وطبيبا. لا شيء يهزم الانسان. قد يكون المخيف في الأوبئة أنها غير مرئية، تبدو مثل عدو خفي، كما أنها تطوق العالم بشكل جنوني. ومع ذلك فإن العلم الذي قفز قفزات هائلة قد تمكن دوما من التصدي لها، ومن حماية الحياة على كوكبنا. وهناك بالفعل أنباء متناثرة هنا وهناك وإن لم تكن نهائية عن بدايات تجارب للعثور على مصل أو لقاح ضد فيروس كورونا. وشتان بين وضع العلم الآن وبين وضعه منذ خمسة عام حين انتشر الطاعون في مصر، واعتقد العثمانيون أنهم سيتخلصون منه بقتل الكلاب في القاهرة وتعليقها أمام الحوانيت. وربما يكون فيروس كورونا انذارا للبشرية بضرورة إعادة ترتيب أوضاعها، بحيث يصبح للعلماء والأطباء الصدارة من حيث الأجور والاهتمام والتقدير، بدلا من لاعبي الكرة ونجوم الأغاني الخفيفة، أو على الأقل مع أولئك النجوم بالقدر نفسه. المؤكد أن الانسانية ستخرج من هذه المعركة منتصرة، حتى لو كانت متخنة بالجراح، وستواصل رحلتها إلى الأمام، نحو اكتشاف الكون الواسع، والتشبث بالفن والشعر والأغنيات والحب طريقا وحيدا للوجود. لاشيء، ولا أحد سوى الشعراء والعلماء والأطباء والفنانين والمعلمين في المدارس هم من ستهبهم الأرض قلبها الآن، ومعهم ستمضي إلى عالم آخر تصحبها الأغنيات المفرحة، وعلى الطريق سيهزم الورد كل الأوبئة، وستزيح الأغاني كل جائحة، هذا ما يشهد به تاريخ الانسان الذي كلما ثارت عليه الطبيعة جرها إلى طريق الحياة والنمو والازدهار. لم يهزم الانسان من قبل، ولن يهزم الآن.

تمثال الأم الشجاعة

انتهت أزمة الطائرة المصرية التي كانت متجهة من الاسكندرية إلى القاهرة واختطفت إلى قبرص في ٢٩ مارس ٢٠١٦. ولاشك أن هناك دروسا أمنية مستفادة مما جرى، إلا أن هناك أيضا درسا ثقافيا لامعا ما بين اختطاف الطائرة وعودتها سالمة. درس على صلة وثيقة بعلاقتنا بالتحضر والتنوير والتقدم. فقد وقفت المضيئة المصرية نهال البرقوقي على سلم الطائرة ورفضت أن تتحرك قبل أن تطمئن على أن كل ركاب طائرتها قد استقلوا الأتوبيس بأمان، ثم استدارت ودخلت الطائرة ثانية إلي مختطفها وهي تعلم أو تتصور أنه يرتدي حزاما ناسفا قد ينهي حياتها مع غيرها. وفي أول حديث للإعلام أدلت به المضيئة لبرنامج " ٩٠ دقيقة" بقناة المحور قالت: " الركاب كانوا أمانة في رقبتي". هكذا خاطرت شابة مصرية بحياتها، لأنها تخيرت بمحض إرادتها أن تتحمل المسؤولية عن " الآخرين" حتى لو عرضها ذلك للموت. لم يكن خطيبها ولا أخوها ولا والدها بين الركاب، لكنها مسألة ضمير. يذكرني ذلك بفيروا زاسلوفسكايا التي اغتالت عمدة بطرسبورج قبل ثورة أكتوبر، وسألها القاضي عن السبب فيما فعلته؟ فقالت: " إن العمدة كان يعذب الآخرين في السجون". فاستفسر منها إن كان لها أخ أو حبيب قد عانى من التعذيب؟ فأجابته قائلة: " كلا. ليس لي أحد عانى من التعذيب. لكن لا ينبغي أن يمر تعذيب الآخرين من دون عقاب!" لم يكن لها دافع شخصي، لكنها قضية الشعور بالآخرين، بالمسؤولية عنهم، وبأن الآخرين " أمانة في رقبتي". وقد أثبتت نهال البرقوقي أنها ابنة كل تاريخ المرأة المصرية التي طالما هدهدتنا وأطعمتنا وسقتنا وعلمتنا وكبرتنا لأننا " أمانة



نهال البرقوقي

في رقبته". ولم تكن نهال الأولى، فقد سبقته إلي ذلك شادية سلامة ابنة السويس التي ولدت في ديسمبر ١٩٥٢، وعملت مضييفة، وفي نوفمبر ١٩٨٥ قامت برحلة إلي اليونان على متن طائرة بوينج طراز ٧٣٧، وأثناء العودة إلي القاهرة نهض أحد الركاب فجأة حاملا بيده قنبلة واتجه بها إلي كابينة القيادة. وظهر بعده على الفور راكبان آخران بمسدسات وقنابل قاما بجمع جوازات سفر الركاب، وعندما حاول أحد رجال الأمن بالطائرة أن يوقفهم بمسدسه أودوه قتيلا على الفور، ثم قتلوا خمسة ركاب. في هذه اللحظة برزت شادية سلامة وأقنعت الإرهابيين أنها ستتعاون معهم شرط عدم المساس بحياة الركاب، وكانت خلال ذلك متمالكة أعصابها بصورة أثارت دهشة زملائها جميعا. هبطت الطائرة ليس في القاهرة لكن في مالطا، وطالب المختطفون بتزويدها بالوقود. وبرزت شادية مرة أخرى مقترحة علي الخاطفين اثبات حسن نواياهم بالافراج عن النساء، وبالفعل أطلقوا سراح إحدى عشرة سيدة، ثم اختاروا شادية لتكون وسيطا بينهم وبين سلطات المطار في عملية تفاوض. خرجت شادية من الطائرة وعندما حاول المسئولون إقناعها بعدم العودة رفضت وقالت عبارة كتلك التي قالتها نهال البرقوقي " مكاني هناك وسط الركاب". وعادت، واستشهدت في ٢٥ نوفمبر ١٩٨٥، من دون أن تفكر في أولادها أو في شيء، استشهدت لأن " الآخرين" كانوا أمانة في رقبته. لمثل هذه المرأة يجب أن يقام تمثال على الطريق إلي المطار، ليس فقط تخليدا لتضحيات المرأة المصرية، ولكن أيضا لنشر الوعي بأن النساء كالرجال شجاعة وبطولة وفداء. النساء المصريات اللواتي وهبن الوطن المحبة والحنان والصلابة جديرات بذلك التمثال: "الأم الشجاعة".

لوقا أحمد الخبز والسلاح

جنديان. الأول هو لوقا شكري المسيحي والثاني أحمد يسري المسلم، أصيبا وهما يواجهان معا الهجوم الإرهابي على كمين زغان بشمال سيناء في أكتوبر ٢٠١٦. الاسمان لوقا شكري وأحمد يسري يردان في كشف المصابين المعلنة من الجيش. أصيب لوقا بطلقة في يده اليمنى وأحمد اخترقت بدنه الشظايا. وعندما سال الدم هنا وسال هناك لم يطلب أحد من الدماء النازفة التوقيع في خانة الديانة. لقد وقع الاثنان معا في خانة الوطن، وأصبح لهما اسما واحدا " لوقا أحمد"، اسم لا يمكن فصله أو تقسيمه، مثلما يستحيل فصل نغمة عن قيثارة تشدو بها.

عاد لوقا إلي المنيا ورجع أحمد إلي البحيرة، لكنهما سوف يلتقيان ثانية ويحملان السلاح معا ويقفان تحت الشمس اللاهبة كتفا بكتف، ويتقاسمان الخبز وجرعة الماء من جديد. من هذه الضفيرة الوطنية خلق التاريخ المصري بكل انتصاراته، بعبقرية طه حسين جنبا إلي جنب مع سلامة موسى، بلويس عوض ومحمد مندور، بماري منيب وزينات صدقي، بعبد المنعم رياض وباقي زكي يوسف. وقد كافح الشعب المصري طويلا لترسيخ شعار الدين لله والوطن للجميع، ومع ذلك مازال البعض يندهش من القرار الشجاع الذي اتخذه د. جابر نصار رئيس جامعة القاهرة بالغاء خانة الديانة كبيان في كافة الشهادات والمستندات والأوراق التي تصدرها أو تتعامل بها جامعة القاهرة مع طلابها أو العاملين بها أو أعضاء هيئة التدريس أو الهيئة المعاونة أو الغير على أي وجه كان وفي جميع الكليات والمعاهد والمراكز سواء للمرحلة الجامعية الأولى أو الدراسات العليا. وهذا القرار بدهي، ومفهوم، إذ أن ما يعينني



في الطالب ليس ديانته لكن مستوى ذكائه واجتهاده
وتحصيله للعلوم، أما ديانة الانسان فشأن لا يسأله
عنه سوى مالك الملك السميع البصير، وما يعينني من
كل إنسان هو عمله وأخلاقه لأن الدين المعاملة. أما
التمييز الديني فهو سبيل لشق الوطن، وتحويل مصر
إلى فرق وشرانم، لأننا إذا فتحنا باب التمييز الديني

فلن يقتصر على المسيحي والمسلم، بل سيمتد كما نرى أحيانا إلى المسلمين من
شيعة وسنة وإلى المسيحيين من كاثوليك وأرثوذكس وغير ذلك. وقد اتخذت نقابة
المهندسين خطوة شجاعة مماثلة لخطوة د. جابر نصار حين أعلن المهندس محمد
خضر الأمين العام لنقابة المهندسين أن النقابة قررت إلغاء خانة الديانة من كافة
تعاملاتها وأوراقها. ومنتظر خطوات مماثلة من النقابات والهيئات الأخرى. وقد يقول
البعض إن ذلك لن يلغي التمييز، إذ يظل اسم جرجس دليلا على عقيدته، كما أن اسم
محمد يشير إلى ديانة صاحبه. نعم. ذلك لن يلغي التمييز لكنه سيكون إعلانا بأننا
نرفض التمييز حتى لو كان في طيات ودواخل المجتمع، وسيكون إعلانا بأننا سنقاوم
التمييز الذي يضرب بجذوره بعيدا. وما زال البعض يذكر أنه حينما أنشئت الجامعة
الأهلية في ١٩٠٨ وهي التي تحولت فيما بعد إلى جامعة القاهرة، دعى جورجى زيدان
لإلقاء محاضرات فيها عن تاريخ الاسلام نظرا لتعمقه في ذلك، ثم انتبه البعض إلى
أن جورجى زيدان مسيحي فأوقف العمل بالدعوة! أما أديبنا العظيم نجيب محفوظ
فقد رشحته الجامعة بعد حصوله على شهادته لمنحة في فرنسا لكن اسمه بدا غير
واضح الهوية فألغوا المنحة وعلق محفوظ على ذلك " الحمد لله قدموا لي أكبر خدمة!
لهذا أستغرب رد فعل وزير التعليم العالي أشرف الشحي الذي قال عن قرار جابر
نصار: " الكلام ده بيعمل فتنة .. وعيب نتكلم فيه ". الفتنة يا معالي الوزير في التمييز
وليس في إلغاءه. وتبقى مصر تتشبث بوحدة دماء لوقا وأحمد، ووحدة أماني الاثنين،
في خانة الوطنية المصرية، حيث لا يسأل أحد عن هوية الدم الذي جرى أو الجرح
الذي نرف.

شيماء الصباغ

صباح السبت ٢٤ يناير ٢٠١٥ كانت أمتار معدودة في ميدان طلعت حرب كانت تفصل بين الرصاصة وبين شيماء الصباغ ذات الثمانية والعشرين ربيعا. جاءت من الإسكندرية إلي القاهرة في ذلك الصباح لتقدم باقة ورد لروح الشهداء. نشأت في أسرة متوسطة الحال. بذلت كل جهودها في مناصرة قضايا العمال المفصولين. ساهمت في تأسيس النقابات العمالية. ومع انتفاضة يناير لم تفارق الميدان منذ أيامه الأولى. تعرضت للضرب والسحل وكتبت على صفحتها في فيس بوك: "البلد دي بقت بتوجع.. يارب يكون ترابها براح". برزت بين الحشود الضخمة أمام قصر الاتحادية في ٣٠ يونيو تطالب برحيل محمد مرسي. أصبحت إحدى قيادات شباب الثورة وأمينة العمل الجماهيري بحزب التحالف الشعبي الاشتراكي. هي أيضا شيماء أم بلال الصغير بسنواته الست. تشبثت بالحرية ولم تدع شيئا يخمد لهب ذلك الشعور الغالي، وكتبت تقول "أنا لم أتجاوز إلي الآن أيام الثورة الثمانية عشر". عندما ظهرت الدعوة لتقديم باقات الورد لذكرى الشهداء كتبت تقول "أنا نازلة القاهرة للمشاركة ومش مهتمة بأي كلام يهد عزيمتي". يوم السبت وصلت إلي القاهرة. التقت بزملائها في شارع هدى شعراوي. تحركت بينهم إلي ميدان طلعت حرب وبين يديها باقة ورد وطفلها الصغير في خيالها، وفي خيالها أنها عائدة إليه. لكن تراب الوطن الذي تمنته فسيحا رحبا اتسع ليضمها ضمة عاشق يعلم أن الحب قد يكون جرحا وأحيانا يكون ضمة للأبد. رحلت واحدة من "ألطف الكائنات" الحنونين الطيبين اللواتي "همهم خدمة بلدهم زيهم زي البنين". المسافة القصيرة بين الرصاصة وشيماء امتلأت بحرس شرف يستقبل العروس الجديدة بالزهور والأهازيج. طابور من مكافحات وبطلات



الشهيدة شيماء الصباغ

يبدأ بشفيقة محمد شهيدة ثورة ١٩، ويستمر حتى شهيدات يناير: رحمة محسن، وزكية محمد، ومريم مكرم، ومهير خليل زكي، وهدي صابر، وسالي مجدي زهران، والطفلة هدير سليمان، وأميرة اسماعيل، ورشا جنيدي.

في المسافة القصيرة بين الرصاصة وشيماء سقط الوهم بأن الواقع قد تبدل. في المسافة القصيرة احتشد أمل آخر مختلف. وفي المسافة القصيرة وقف الكثيرون - بين الرصاصة والدم - يبررون ويفسرون ويحللون ويلتفون حول الحقيقة ويحكون القصة على طريقتهم. إنهم لا يستطيعون تغيير الحقائق، لكنهم يقومون بإعادة ترتيبها، بحيث يقللون من شأن أمور ويضخمون أشياء أخرى، ويحكون القصة بحيث تبرر في النهاية قتل شيماء. يتساءلون: "أكان ذهابها إلي الميدان ضروريا؟ هل كنا بحاجة للاحتفال بذكرى الشهداء الآن؟. ما مصلحة الشرطة في قتلها؟ إلي آخر تلك التساؤلات التي تقلل من وزن التضحية ومن حق الناس في التظاهر السلمي، بحيث يصبح القتل في نهاية المطاف أمرا مبررا أو مقبولا كحد أدنى. في المسافة القصيرة بين الرصاصة والدم يقف عدد كبير من المحللين، والمفسرين، والمتقنين الحكوميين، وغيرهم. أنا لا أستغرب أن يبني الطغاة السجون، ولا أستغرب أن يفتحوا النار على الناس، لكني أستغرب أولئك الذين حين يجدون سجنا يدارونه بكلمة حديقة! " أولئك الذين حين تنطلق الرصاصة يشمرون عن أذرعتهم ويطلقون الرصاصة بلون الورد! وبالرغم من كل ذلك الكذب، ستبقى قصة شيماء، ويوما ما سيحكيها للناس منشد لامع الصوت يجوب بالحقيقة كل قرية، يردد على ربابته صيحة القلب الجسور: "أنا مش مهتمة بأي كلام يهد عزيمتي". مسافة قصيرة احتشد فيها أطول تاريخ للكفاح والأمل.

منى مينا .. أحلى ما فىنا

أحيانا تعتم الدنيا، تتفرع الدروب مغطاة بالأعشاب، تتشابه المخارج والمتاهات، وفجأة يضوى بطول السماء شعاع برق ينير الطريق. هكذا كان فوز د. منى مينا بموقع أمين عام نقابة الأطباء. وهكذا كان لانتخابها مغزى أشمل وأعمق وأبعد من العمل النقابي. مغزى أخلاقي ووطني وسياسي وثقافي كنا ومازلنا في أمس الحاجة إليه. ففي انتصارها إعلاء لكل قيم العمل الوطني الذي تموله ثقة الناس وليس مؤسسات " فورد" و " فريدم هاوس". إعلاء لقيم العمل الدؤوب المتراكم بعيدا عن الفهلوة والوثب من موقف لآخر مع اللحاق في الوقت ذاته بأول مغنم صغير. كل تاريخ منى مينا كان إشارة إلي قيم أخرى في العمل الوطني. في عام ٢٠٠٣ كانت تقف في المظاهرات المناهضة للغزو الأمريكي للعراق. في ٢٠٠٧ شاركت في تأسيس حركة " أطباء بلا حقوق" ليس فقط لرفع أجور الأطباء بل بالأساس لزيادة الميزانية المخصصة لوزارة الصحة لعلاج الناس. في انتفاضة ٢٥ يناير حضرت منذ اليوم الأول إلي الميدان، وأنشأت " المستشفى الميداني" لاسعاف المصابين. في ٢٠١١ دعت إلي إضرابات الأطباء، شاركت فيها، وحين عرض عليها في نوفمبر من العام نفسه مقعد وزير في حكومة الجنزوي رفضته لكي لا تكون كما فعل الكثيرون رشة سكر تداري فساد الوجبة! هذا هو المغزى الأخلاقي لانتصار منى مينا. على المستوى الوطني فإن فوزها انتصار للضمير المصري على كل محاولات زجه وحبسه وراء قضبان فكرة طائفية مذهبية. لقد علت شمس الوطنية لتعلن أنها لا تستلهم إلا ما يجمع المصريين لا ما يفرقهم، من دون تمييز بين قبطي ومسلم، فتجدد بذلك الفوز شعار الوطنية المصرية المجيد "الدين لله والوطن للجميع". سياسيا لأنه قيل إنه



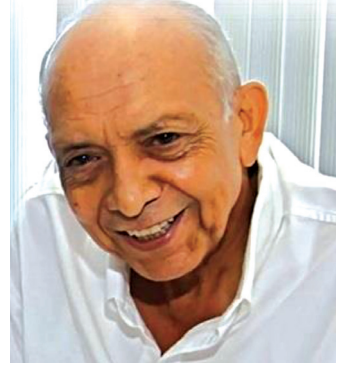
منى مينا

تمت الإطاحة بسلطة الإخوان بانقلاب، فجاء انتخابها ليؤكد أن الإخوان يخسرون بالتصويت وليس بالقوة نقابة ظلت حكرا عليهم نحو ثلاثين عاما. أي أن إزاحة الإخوان كانت مطلبا شعبيا تم بتدخل عسكري لكن لو أتاحت الفرصة لثم أيضا بالتصويت الحر! هذا هو المغزى السياسي لانتصار هذه الطيبة التي أطلقوا عليها " مسيح ميدان التحرير ". ثقافيا كان فوز منى مينا ضربة لثقافة رجعية طالما هونت من قدرات المرأة وصغرت إنسانيتها ورسمت لها دائرة وحيدة للوجود العقلي والروحي: الأنوثة وجدان البيت والعمل المنزلي والإنجاب، فجاء انتصارها إعلانا يؤكد مجددا أن المرأة قادرة على أن تشغل أهم المراكز وأن تقود العمل النقابي والسياسي بكفاءة مثلها مثل الرجل أو أفضل منه.

بوسعنا أن نقول بافتخار لدينا سيدات عظيمات يضربن مثلا على عمل دؤوب من دون أطماع شخصية، من دون تمويل مشبوه، من دون ثرثرة، من دون ترتيب لخصلة شعر أمام الكاميرات. لدينا منى مينا يمكننا أن نرفع اسمها بحرص وحب ونضعه بجوار أسماء سيدات فتحن للوطن طاقة نور وأشعلن أعمارهن شعاع برق بطول السماء، انخرطن في العمل السياسي، والاحتجاجات، أخفين المطابع السرية، وتعرضن للسجون، وحملن السلاح دفاعا عن الوطن، بدءا من سيزا نيراوي، ونبوية موسى، وهدى شعراوي، ودرية شفيق، ولطيفة الزيات، وفاطمة زكي، وثريا شاكر، حتى سالي زهران وبطلات انتفاضة يناير. أولئك بنات مصر مخلوقات من عصارة قلبها وطميتها ونبتها ونسيمها. مصر أيضا مخلوقة من شجاعة وتضحيات بناتها. وماكان لمصر أن تبدو هكذا جميلة، شاعرة، صابرة، ملهمة، من دون بناتها.

محمد غنيم روح مصرية

المرّة الأولى التي سمعت فيها بمركز علاج الكلى في المنصورة وبالدكتور . محمد غنيم لم تكن في القاهرة، بل في موسكو، عام ٨٥ أو ٨٦، عندما جاءنا زميل مصري مريض لعلاج الكلى وتوجهت معه إلي أفضل معهد في روسيا، وهناك فحصه أستاذ كبير ثم سألتني بدهشة: لماذا لم يتوجه زميلكم إلي د. محمد غنيم ومركز الكلى بالمنصورة؟! ليس لدينا ما يمكن أن نقدمه له أفضل مما تستطيعون أنتم في مصر. تلجلجت في الكلام بين الحيرة والدهشة والشعور بالفخر لأن عندنا في مصر علماء يستشهدون بأسمائهم في الخارج بكل ذلك القدر من الاحترام. ورحت أسأل عن مركز الكلى الذي بادر إليه دكتور محمد غنيم مع مجموعة من الأطباء الشبان المجهولين حين نجحوا عام ١٩٧٦ رغم الإمكانيات المتواضعة في اجراء أول عملية نقل كلى في مصر. وكان ذلك انتصاراً علمياً، وأخلاقياً، لأطباء لم يسعوا للشهرة والجوائز والمال والألقاب في الخارج بل لخدمة بلدهم فحسب. وحفزهم النجاح على التفكير في إنشاء مركز متخصص شغل في البداية جناحاً صغيراً في مستشفى المنصورة الجامعي، إلي أن خصصت المحافظة للمركز قطعة أرض وفرضت قرشاً على كل أردب أرز أو قمح لصالح المشروع، وأخذ د. محمد غنيم يطرق أبواب المنح الخارجية فلم تستجب أمريكا وأوروبا ولا حتى الدول العربية لدعم المشروع، هولندا وحدها هي التي قدمت ١٥ مليون جنيه مع دعم فني، وفي عام ١٩٨٣ أصبح مركز الكلى حقيقة واقعة، وخلال نحو نصف القرن استقبل المركز أعداداً لا تحصى من المرضى، تم علاج تسعون بالمئة منهم مجاناً. المركز الذي رفضت أمريكا ودول أوروبا



دكتور محمد غنيم

المساهمة في تمويله (رغم الإنفاق السخي لتلك الدول على مراكز نشر الديمقراطية)، أخذ يستقبل أطباء من أمريكا ومن بريطانيا ومن فرنسا وألمانيا وغيرها ويتولى تدريبهم على عمليات نقل الكلى! بهذا الصدد يقول د. محمد غنيم " لا بد أن نساهم في تراث الإنسانية فلا يصح أن نكون مستفيدين فقط دائماً". يعبر د. محمد غنيم عن الفكرة التي قادته إلى إنشاء المركز بقوله: "المشكلة في مصر إن اللي معاه فلوس يتم علاجه في أفضل المستشفيات، ومن يملك المال والنفوذ يستطيع السفر للخارج ويتم علاجه على نفقة الدولة ولو كان لإجراء بواسير، واللي ما فيش معاه يروح في داهية.. لهذا كان مركز الكلى بالمنصورة مؤسسة غير ربحية"، هذه الفكرة ذاتها هي التي تجعل د. غنيم يقضي إجازته في فندق رخيص في الغردقة يقدم له صاحبه خصماً معقولاً لأنه بليدياته من المنصورة، ولأن د. غنيم لا يستريح في "مارينا" و"الشرم" وغيرها؛ حيث يعم "مجتمع مفتعل قوامه الأثرياء الجدد". علماء مثل د. محمد غنيم هم جزء من أحلام مصر وأمالها وثرواتها الأخلاقية والعلمية والوطنية، جزء من بطولتها في معاركها ضد تحويل العلم إلى تجارة، ومعاركها من أجل الطب للجميع، وفي معاركها من أجل غد مشرق، إنها بطولة علمية إذا جاز التعبير.

عبوات معدنية صغيرة

عام ١٩٦٧ تعرضت مصر لهزيمة عسكرية مؤلمة ظلت آثارها في نفوس كل من عاشوا تلك اللحظة التي أنزلت الجميع من سماء الأحلام بالاشتراكية والوحدة والتحرر الوطني إلى قاع من التشاؤم والحزن، وباقتراب عام ١٩٧٢ لاحت في السماء مجددا نذر التحرير وحرب أكتوبر التي مهدت لها حرب الاستنزاف وبفضلها حافظ الجيش المصري على حيويته وكفائه نتيجة التدريب الذي لم ينقطع. وعندما بدأت الاستعدادات لحرب أكتوبر تلقى مصنع الحديد والصلب بحلوان تعليمات متكتمة بصناعة آلاف العبوات المعدنية الصغيرة لكي تحتوي على الأغذية المحفوظة، وكان مفهوما من دون تصريحات أو تحديث مكشوف أن تلك العبوات بهذه الكميات الضخمة ستكون مؤونة الجيش حين تدق ساعة القتال. في ذلك الوقت راحت أجهزة المخابرات الدولية وفي مقدمتها الموساد الاسرائيلي تنقب بكافة الوسائل ومن خلال كل العملاء عن أي معلومات تؤكد نية مصر خوض الحرب. حينذاك كان مصنع الحديد والصلب قد بدأ في انتاج تلك العبوات المعدنية الصغيرة، وكان آلاف من العمال الذين عاشوا حينذاك يخمنون ويدركون تماما أن ما يقومون به كل يوم أمام لهب الأفران جزء من تحرير مصر وجزء من معركتها، لكن أحدا منهم لم يفتح فمه بكلمة ولم يبيع بحرف حتى لزوجته أو أبنائه. كان الآف العمال يتحركون في صمت في صحراء حلوان، يسيل العرق على جباههم، منهمكين في تصنيع تلك العبوات الصغيرة التي أطلق عليها " الاشارة والبشارة" ! كانوا يعملون في صمت بلا توقف ويتنقلون بين العنابر ويهزون العلب الصغيرة بأيادهم لبعضهم البعض وفي عيونهم يلمع الأمل أن مصر



عمال الحديد والصلب

ستنتصر وستهزم العدوان. آلاف من العمال، البسطاء، الأبطال، الذين لم تلتقط أي عدسة صورا لوجوههم، ولا لحبات عرقهم، ولا لدقات قلوبهم المتسارعة وهم يشعرون ويفكرون ويضطربون ويفرحون لأنهم يساهمون في تحرير مصر بعبوات معدنية صغيرة وهم يدركون جميعا لمن ستذهب، ولماذا، فيتصل عملهم، ويستمر. في ذلك الوقت تم تكليف كتيبة دفاع جوي تابعة للقوات المسلحة بحماية المصنع والعمال الذين لم يسجل أحد أسماءهم، ولا شقت قصص حياتهم طريقتها إلى جهة، ولا قام رسام بخلق لوحة للعرق والأمل على جباههم. ولم يكن العمال وحدهم رمز بطولة عزيزة صامته، بل كان انشاء المصنع نفسه بطولة، تحكي قصة تحدى الاستعمار، وتحويل مصر من بلد زراعي إلى بلد صناعي. حدث ذلك حين أصدر جمال عبد الناصر والثورة مازالت في مطلعها مرسوما بتأسيس شركة الحديد والصلب في ١٤ يونيو ١٩٥٤ في منطقة التبين بحلوان كأول مجمع متكامل لانتاج الصلب في العالم العربي برأسمال قدره نحو مليوني جنيه موزعة على أسهم يمتلكها الشعب، قيمة السهم جنيهان اثنان ويتم سداد المبلغ بالتقسيط على عامين! واندفع المصريون إلى شراء الأسهم وقد أدركوا أهمية أن يكون لمصر إنتاجها من الحديد والصلب الذي تدخل منتجاته في كل تفاصيل حياتنا بدءا من الصباح حين ننهض لغسل وجوهنا من مياه الصنبور الذي يستلزم وجود صناعة الحديد، وباب الثلاجة التي نحفظ الطعام فيها، إلى الأتوبيسات وأعمدة النور في الشوارع وأيضا البنادق والدبابات وكل ما

أمد به العمال حرب أكتوبر من وسائل ضرورية للنصر. أدرك المصريون ذلك فاندفعوا إلى شراء الأسهم لكي يخرجوا بمصر من دائرة الزراعة إلى التطور الصناعي. عند افتتاح المصنع بعد ذلك بأربع سنوات في ٢٧ يوليو ١٩٥٨ ألقى جمال ناصر خطاباً حدد فيه بدقة قصة المصنع قائلاً: " أيها الأخوة .. إن إقامة صناعة الحديد والصلب في بلدنا كان دائماً الحلم الذي ننظر إليه منذ سنين طويلة .. وكنا جميعاً نعلم أن الحديد الخام يوجد في بلدنا، وأن الفراعنة كانوا بيستعملوا هذا الحديد منذ الآف السنين، ولكننا كنا دائماً نجابه العقبات وكنا دائماً نجابه الاعتراضات من السيطرة الخارجية ومن الاستعمار.. وطبعاً كانت هناك أسباب خفية وكانت هناك أسباب تمنع إقامة هذه الصناعة في بلدنا؛ لأن الهدف كان إبقاؤنا دولة زراعية وعدم تمكيننا من إقامة صناعة في بلدنا". المصنع الذي أمدنا في الحرب بالعبوات المعدنية الصغيرة لكي ننتصر هو الذي أمدنا وقت السلم بالأوكسجين لكي نواجه وباء كورونا ونواصل الحياة. تبقى بطولة العمال، حتى لو توارت بعيداً الوجوه التي لم نعرفها والأسماء التي لم ننطقها، فإن البطولة تبقى غالية ولو كانت بلا اسم.

الأم المصرية بطولة وجمال

في إحدى روايات الكاتب الروسي العملاق دوستوفسكي تقوم فتاة بإطلاق الرصاص على عمدة المدينة، وفي التحقيق معها يسألها القاضي عن دوافعها إلى ذلك فتجيبه بأن العمدة المدينة دأب على تعذيب المعتقلين وإهانتهم، فيستفسر منها: وهل لك بينهم قريب؟ فتدرد بأن أحدا من أقربائها أو معارفها لم يتعرض للسجن، فيندهش سائلا: "وما الذي دفعك إذن إلى اطلاق الرصاص على عمدة المدينة؟". تقول: "لكي يدرك هو والآخرين أن اهانة البشر لا ينبغي أن تمر بلا عقاب!" لم تكن الفتاة الشابة تدافع عن خطيبتها أو والدها أو شقيقها، كانت تدافع عن مبدأ، عن فكرة، أنه لاينبغي القبول بإهانة أي إنسان. لم تكن ثمت مصلحة شخصية لديها، لكن مصلحة إنسانية عامة. تذكرت فتاة دوستوفسكي عندما قفز إلى الأضواء في سبتمبر ٢٠٢٠ اسم صفية أبو العزم التي التقت في القطار ٩٤٨ جنديا لم يكن في جيبه ثمن تذكرة السفر، فسخر منه مفتش القطار ورئيسه، وأهانوه، فقامت تتصدى لهما، وفيما بعد علقت على ماجرى بقولها: "كان لازم أعمل حاجة لأن الركاب سكتوا على الإهانة!" لم يكن الجندي البسيط ابنها ولا زوجها، لكنها كانت تدافع عن مبدأ، عن فكرة أنه لاينبغي القبول بإهانة أي إنسان. وقد انتشر الجدل بشأن الحادثة التي بعد ظهور شريط مصور بما حدث يوم الأربعاء ٩ سبتمبر، وردد البعض أن من حق المفتش أن يطالب بالتذكرة، ورد آخرون: نعم من حقه، لكن ليس من حقه أن يهين إنسانا، ولا أن يسخر منه. وقالت صفية أبو العزم لاحقا إنها دفعت ثمن التذكرة نيابة عن الجندي الشاب: "تذكرت أولادي في نفس الموقف وبكيت، قلبي وجعني



البطلة أمّنة الدهشان

عليه!" إنه قلب المرأة التي لا يرى فيها كائنات العصور الوسطى إلا مصدرا للغواية الجنسية لا بد من حجبه بملازمة البيت في عربة القطار ٩٤٨ جلس عشرات الرجال لكن المرأة وحدها، لا أحد سواها، هي التي نهضت من مقعدها لتساعد الجندي الشاب. قلب الأم المصرية المشغول برقعة القمر ودفء الشمس، بفضة البطولة وذهب الجمال. امرأة مصرية أخرى هي أمّنة دهشان تصادف وفاتها عن عمر يناهز ٩٥ عاما قبل واقعة القطار بيوم واحد، أي في ٨ سبتمبر. الحاجة أمّنة مواليد ١٩٢٥ من أسرة بدوية هاجرت إلى مدينة الاسماعيلية وأقامت هناك، وعندما شب عودها تزوجت من ابن عمها، ومد الله في عمرها لتكون شاهدة على ستة حروب: الحرب العالمية الثانية وتحكي عنها: "أتذكر أول غارة وأنا في السابعة من عمري حين كانت الطائرات الألمانية تطلق لقصف المواقع البريطانية، والجنود الانجليز يختبئون وسط المزارع"، ثم شهدت حرب فلسطين ١٩٤٨، والعدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦، وحرب ٦٧، وحرب الاستنزاف، حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣! لكن هذه المرأة البدوية البطلة لم تكن مجرد شاهد بل واحدة ممن صنعوا الأحداث، وحينما لم يكن عمرها يزيد عن خمسة وعشرين عاما انضمت إلى الفدائيين الذين كانوا يختطفون الانجليز في مدن القناة، وشاركت في معركة الاسماعيلية بين قوات البوليس المصري وقوات الاحتلال الانجليزي في يناير ١٩٥٢، وتتذكر الفدائية العظيمة أمّنة الدهشان تلك السنوات فتقول: "كان السلاح يصل إلينا في الاسماعيلية من المحافظات على الجمال، بعد أن شدد الانجليز التفتيش على القطارات والطرق الزراعية، وكنت أخفي الأسلحة

في عربة خضار أسير بها وداخل ملابسني إلى أن أنقله للفدائين". بعد حرب ١٩٦٧ والنكسة رفضت أمنة الدهشان التهجير من الاسماعيلية وكان الكثيرون قد هاجروا، وأصرت على البقاء في بيتها هناك لتستقبل فيه أبناء الاسماعيلية من الجنود العائدين، ثم انخرطت بعد ذلك في العمل السياسي وأصبحت أول امرأة ريفية تشغل منصب عضو مجلس المدينة المحلي بمحافظة الاسماعيلية. أنجبت سبعة أولاد، وأحاط بها في أواخر عمرها ستون حفيدا ! وحينما كانت أمنة الدهشان تخفي السلاح لتنقله إلى الفدائيين تقاعس رجال كثيرون عن تلك المهمة الخطرة، وحينما شاركت في معركة الشرطة ضد القوات الانجليزية كان رجال كثيرون يخشون ذلك، ثم يأتي أحدهم بعد ذلك ليتحدث عن أن المرأة يجب أن تلزم البيت لأن الرجل هو حاميتها! لكن واقعة القطار، ورحيل البطلة أمنة الدهشان يذكرنا بجمال وبطولة المرأة المصرية التي خلق قلبها من رقة القمر ودفء الشمس، من فضة البطولة ومن ذهب الجمال، من القصائد ومن البنادق، ومن الأغاني والكفاح.

البلاطي البيضاء

أصحاب البلاطي البيضاء، الأطباء، هم من وقف في مواجهة وباء كورونا الذي غزا مصر مطلع عام ٢٠٢٠ وبقية دول العالم. الأطباء هم خط الدفاع الأول عن الحياة، وخط الدفاع الأخير. لكننا لم نلتفت يوما بالاهتمام الكافي إليهم، ولم نعطيهم قط حقهم من التقدير. في سبتمبر ١٨٩١ كتب فلاديمير تيخونوف رئيس تحرير مجلة "سيفر" الروسية (الشمال) إلى الكاتب الروسي العظيم أنطون تشيخوف يسأله أن يرسل إليه قصة للنشر في المجلة، وأجابه تشيخوف بأنه يكاد أن ينتهي من قصة وسوف يرسلها إليه، حينذاك ناشده تيخونوف أن يذكر له اسم القصة لكي يعلن لقراء المجلة عن أن تشيخوف سينشر عملا فيها قريبا، فأجابه تشيخوف في ١٢ سبتمبر بأن القصة مازالت بلا اسم وأن اختيار الاسم الآن: "صعب صعوبة تحديد لون دجاجة لم تخرج من البيضة بعد". التزم تشيخوف بوعده وبعث بالقصة فنشرت في نوفمبر ١٨٩١. في قصته يقدم تشيخوف بطله الطبيب "أوسيب ضيموف" الذي تزوج من أولجا إيفانوفنا بعد أن تعرف إليها في المستشفى وزارها في بيتها عدة مرات، وبعد الزواج كان الطبيب يتجه يوميا من الصباح إلى المستشفى ويظل يعمل به حتى وقت متأخر من الليل، بينما كانت أولجا، زوجته الشابة الجميلة، تستيقظ في حوالي الحادية عشرة صباحا، تفطر، وتعزف على البيانو قليلا، ترسم قليلا، ثم تتجه إلى الخياطة أو إلى أتيليه أحد الرسامين، أو إلى واحدة من صديقاتها الكثيرات لتتبادل معها أخبار النجوم والفن، علاوة على ذلك كانت أولجا تعقد صالون ثقافي أو ملتقى لأصدقائها الفنانين في البيت عندها كل أربعاء، أما في شهور الصيف

بطولات الأطباء في مواجهة كورونا



فإنها ترتاح في البيت الريفي بين الغابات. وكان " ضيموف " يشعر بنفسه غريبا في ذلك الوسط الذي تعيش فيه زوجته، فقد كان معظم معارفها من الفنانين والشعراء الواعدين والموسيقيين اللامعين، وكانت أولجا تكتفي حين يعود "ضيموف" إلى البيت مرهقا من العمل بأن تشير إليه محدثة ضيوفها: " انظروا إليه؟ أليس صحيحا أن فيه شيئا ما؟ " كانت تقول ذلك كأنما تريد أن توضح لهم لماذا تزوجت هذا الرجل البسيط الذي لا يتميز بشيء خاص. في تلك الأثناء يقع الرسام " ريبوفسكي " في غرام أولجا فتستسلم له ولقلباته وأحضانة. ذات مساء يمرض " ضيموف " وتستدعي أولجا زملاءه الأطباء الذين يخبرونها بأنه مريض بشدة وحالته خطيرة لأنه: " شفت بالأنبوبة منذ يومين أغشية الدفتيريا من طفل مريض في المستشفى ". وعندما يبدو واضحا أن ضيموف يحتضر، وأنه لا أمل في نجاته، يقول أحد الأطباء مخاطبا أولجا: " يالها من خسارة للعلم. لقد كان انسانا عظيما! أي موهبة! عاش في خدمة العلم ومات في خدمته ". فجأة تتذكر أولجا حياتها مع " ضيموف " وتواضعه وانكاره لذاته وعمله المتصل، فجأة تكتشف على نحو ساطع أن زوجها الذي طالما بدا لها كأنما لا يتميز بشيء مقارنة بالفنانين والنجوم هو موهبة علمية ضخمة في مجال الطب، ويحل عليها الذهول من فكرة أنها كانت طول الوقت تبحث عن العظماء من دون أن تنتبه إلى عظمة ذلك الانسان المتواضع الكادح العالم الذي عاشت معه، لقد كان بجوارها، كتفه في كتفها، لكنها لم تشعر به. تهزول أولجا إلى حجرة "ضيموف"

باكية تعلن له أنها ستصحح كل شيء، وستبدأ حياة أخرى جديدة، لكنها تجد يديه باردتين وتذكر أنها قد تأخرت. في قصته الجميلة تلك كان تشيخوف يكتب ليس فقط عن " ضيموف" بل عن كل الأطباء، وكل البطولات التي تعيش بيننا ولا نشعر بها إلا بعد فوات الأوان. من اللافت أن القصة في المسودات الأولى كان اسمها " انسان عظيم" والمقصود بذلك الوصف الطبيب "ضيموف" مما يوضح تقدير الكاتب للأطباء ودورهم، لكن تشيخوف الذي كان يتفادى المباشرة عاد قبل نشر القصة بأسبوعين فطلب من المجلة تعديل الاسم من " إنسان عظيم " إلى "اللعب". تجدد هذه القصة بطولة الأطباء المصريين والمرضات الذين واجهوا ويواجهون وباء كورونا في مصر، وفيها أرى بطولات الأطباء في كل ركن من العالم. يحتاج أصحاب البلاطي البيضاء إلى التقدير والاهتمام، ويستحقونه، لكن التلفزيون لم يقدم ولا يقدم برنامجاً عن عمل أولئك الأطباء والمرضات داخل المستشفيات، ثم أتساءل: لماذا لم يفكر المطرب المعتمد بصفته " رقم واحد" أو رقم اثنين في تقديم أغنية عنهم؟ ولماذا لم تفرد الصحف اليومية باباً لما يقومون به وتضع صورهم وأسماءهم في صفحاتها الأولى؟ لماذا لم تصدر وزارة الثقافة النائمة في العسل كتيباً واثنين وعشرة تسجل بطولات أولئك الأطباء في مواقع عملهم ثم توزع تلك الكتب بالمجان في كل مكان؟ لماذا لا يتم رفع أجورهم وتوفير ظروف أفضل لعملهم؟ إن أصحاب البلاطي البيضاء جديرون بالتكريم وهم مازالوا أحياء بيننا، وعلينا أن نقوم بذلك.

وجوه ثائرة

عام ١٩١٨ أصبح توماس راسل حكمدار القاهرة أي رئيس جهاز الشرطة الذي تحكم فيه الانجليز حينذاك. وكان ذلك الانجليزي المرموق يهبط من بيته وسط البلد أيام الإجازات قاصدا نادي الجزيرة الرياضي، يخترق شوارع القاهرة لكن على جمل بين دهشة المارة ونظراتهم المتعجبة. كان الجمل المسمى "أبو رصاص" يرجع بتوماس راسل إلى البيت من دون أي توجيه، يعبر به أمام فندق "سوفاتيل" وينحرف إلى شارع قصر النيل ومنه إلى مبنى البنك الأهلي ثم يستدير يمينا ويتوقف أمام بيت راسل فيهبط الحكمدار الانجليزي ينفض التراب عن رداءه ويصعد إلى بيته ! قضى راسل في مصر ٤٤ عاما متصلة في جهاز الشرطة، وفي عام ١٩٤٩ نشر في لندن كتابه "في الخدمة المصرية". يقول توماس راسل في مذكراته: " مررت بكل مديرية في مصر بجولاتي كمفتش .. وعملت في جميع نقاط الشرطة من أسوان إلى الاسكندرية ". وكان راسل شاهدا على ثورة ١٩ التي تفجرت بعد قرار الاحتلال الانجليزي نفي سعد زغلول ورفاقه إلى مالطا. ويصف راسل بصفته المسئول عن الأمن حينذاك يوم ١٧ مارس ١٩١٩، بأنه كان: " واحدا من أسوأ أيام حياتي في القاهرة"، إذ عجزت فيه الشرطة البريطانية والمصرية عن اخماد المظاهرات الشعبية التي تطالب بالاستقلال والحرية. ولا يمكن بطبيعة الحال أن نتهم راسل بالانحياز الى الثورة وهو الذي عدها نوعا من الفوضى والتخريب، ومن هنا تكتسب شهادته قيمتها، فهي آخر ما يمكن وصفه بالتحيز. ويقول في وصف الأحداث: " كانت الأمور تسير بصورة سيئة خارج القاهرة، لقد وزعت منشورات الطلبة من القاهرة إلى



وجوه ثائرة من ثورة ١٩١٩

جميع أنحاء البلاد لتنتشر قصصا غير صحيحة بالمرّة حول إطلاق القوات البريطانية الرصاص على الناس في العاصمة .. وتلا ذلك قيام الثوار بنشر الفوضى وكسر خطوط السكة الحديد وتخريب الممتلكات العامة.. وجرّت في الصعيد عدة عمليات اغتيال لانجليز يستقلون القطارات.. وتم تدمير جميع خطوط الهاتف والتليغراف في الوجه القبلي حتى الأقصر جنوبا. ويقول توماس راسل إنه وجد نفسه في وسط مظاهرة كانت مكونة من آلاف من أعنف العناصر في القاهرة، وكل منهم مسلح بشيء، فالبعض يحمل السكاكين، وهناك من يحملون اللافتات، والأزاميل، وجذوع الأشجار، والسقالات وغيرها، أما هؤلاء الذين لم يحملوا أسلحة فقد كانوا يحملون أسياخا منزوعة من الأسبجة الحديدية المحيطة بشجر الشوارع.. وكان كثير من الجموع لا يخرج صوتا من فمه سوى صوت الشهيق، والزئير يجعل صدور البعض غارقة في اللعاب". ويحكي توماس راسل حكاية أخرى فيقول: " إنني أتذكر أن ديك ويلسلي مفتش الداخلية كان يتحاور بشأن الأمر مع شيخ مسن في المنوفية، وكان ويلسلي في انجلترا خلال الثورة، وعندما عاد سأل الرجل المسن كيف تصرفته قريته خلال الاضطرابات، فرفع الشيخ يده إلى السماء مقسما بالله أن أحدا من بلدته لم يتحرك أو يترك عمله مثلما حدث في القرى الأخرى.. لكن ويلسلي استمر في الضغط على الرجل العجوز حتى اعترف بعد وعد بالكتمان من يلسلي بأن القرية بأكملها أصابها الجنون وأنه جن مثل أهلها خلال الثورة لدرجة أنه خلع عباة وأخذ يرقص

فوق إحدى العربات بميدان القرية الرئيسي". و في كتابه " سعد زغلول" يقول عباس العقاد عن الذين ماتوا في ثورة ١٩ فقط لكي يظل علم مصر مرفوعا: " ومات أناس يحملون العلم أنفا من الفرار أمام نيران المدافع وهم عزل من السلاح، ويرى أخوانهم مصرعهم فيبادرون إلى رفع العلم ليستقبلوا مصرعا كمصرعهم طائعين متنافسين في لحظة يطيقون فيها رؤية الجثث المطروحة ولا يطيقون رؤية العلم ملقى على التراب".

الآن لا يسعنا بالطبع أن نستعيد صورة الرجل العجوز الذي جن من الفرحة لقيام الثورة، فخلع عباعته وقام يرقص على عربة في ميدان القرية، ولايسعنا أن نستحضر وجوه الآلاف الذين خرجوا يطلبون الحرية وكل منهم مسلح بشيء، ولا يخرج من صدورهم سوى شهيق وزئير يرتج له الأفق، لا يسعنا أن نرى بدقة وجهها واحدا من أولئك الذين رفضوا أن يهربوا من نيران المدافع ووقفوا يرفعون العلم، فيسقطون قتلى، فيتقدم آخرون ويرفعون العلم، لأنهم: " يطيقون رؤية الجثث المطروحة ولا يطيقون رؤية العلم ملقى على التراب".. لا يسعنا أن نستحضر وجهها واحدا من تلك الوجوه البطلة، لكن لفح أنفاس كل أولئك الأبطال مازال يسري في الجو، ويصل إلينا، ومازلنا نشعر بوهج تلك العاطفة التي تقود الناس إلى تقديس الحرية. إنهم آلاف الأبطال الذين لا نعرف أسماءهم، ولا نتخيل وجوههم، لكنهم حاضرون بقوة في الهواء حولنا. هذا شعبنا البطل، الذي نفتخر أننا ننتسب إليه.

هي .. هي لعبة ؟ !

عام ١٩٥٦ كان سيد عسران صبيا لا يتجاوز عمره السابعة عشرة، استشهد أخوه الفدائي بعد التحاقه بالمقاومة الشعبية للعدوان الثلاثي في بورسعيد. فجع الموت عسران مبكرا، ولم يستطع أن ينسى أخاه، وكان يفكر طول الوقت كيف ينتقم لموته. في ذلك الوقت كان الميجور " وليامز " ضابط الاتصالات الانجليزي قد اشتهر بأنه قناص الفدائيين في بورسعيد، وكان يجمع المعلومات ليل نهار عن الفدائيين المصريين الذين اختطفوا "أنطوني مورهاوس" ابن عم ملكة البريطانية في ١١ ديسمبر ١٩٥٦ داخل بورسعيد. كان " الميجور وليامز " يحاول العثور على ابن عم الملكة بالوصول إلى أي معلومات عن طريق تعذيب الفدائيين وسائقي السيارات وكل من تصل إليه يده لعله ينتزع كلمة عن المكان الذي أخفى فيه الفدائيون ابن عم جلالة ملكة بريطانيا العظمى. ووفقا لرواية عسران فإنه راح يجوب شوارع بورسعيد القريبة من مقر " الميجور وليامز " وهو ممسك في يده بما يبدو أنه رغيف خبز، فإذا مرت عليه دورية من العساكر الانجليزي تظاهر بأنه يقضم لقمة من الرغيف ويأكلها، لكن الرغيف لم يكن سوى غطاء لقنبلة بداخله ! ظل عسران يتحين اللحظة المناسبة إلى أن حل يوم وشاهد الميجور يغادر المقر بصحبة ضابط آخر ثم يركب سيارة. يحكي عسران ما حدث في تلك اللحظات قائلا: "نزلت من على الرصيف وقبل أن تصلني السيارة بقليل جاعتني فكرة، فأخرجت ورقة من جيبي ليظن وليامز أنها شكوى أو معلومات، وحين رأى الميجور الورقة بيدي أوقف السيارة وفتح زجاجها ليأخذ الورقة، وتعمدت أن أرميها عند "دواسة" السيارة فانحنى الميجور ليأخذها، وعلى الفور قذفت القنبلة داخل



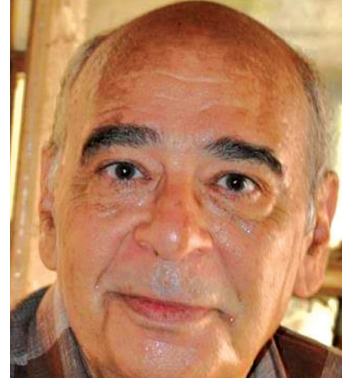
بنات بورسعيد
يحملن السلاح

السيارة بعد أن نزعت الفتيل منها وجريت مسرعا ومن خلفي يتردد صوت انفجار شديد، والناس تجرى في كل اتجاه". وقد أودى الانفجار بحياة " الميجور وليامز" بعد ثلاثة أيام من رقاذه في المستشفى، وبموته دفنت أسطورة قناص الفدائيين، وبعثت أسطورة الفدائيين الصغار قناصي الغزاة. ولقد نجا عسران لحسن حظه بعد عمله البطولي، بينما كان هناك تلميذ آخر صغير في الثانية عشر من عمره هو حسن سليمان حمودة وكان تلميذا بمدرسة القناة الاعدادية وخرج حسن على رأس مظاهرة ضخمة حشد فيها رفاقه يهتفون لمصر ويحرقون دول العدوان الثلاث فرنسا وبريطانيا وإسرائيل، فأطلق الجنود الفرنسيون الرصاص على التلاميذ وسقط حسن قتيلا في عمر الزهور. لاحقا سجل التاريخ أسماء الأبطال الذين اختطفوا " انطوني مور هاوس" وهم: على زنجير وأحمد هلال ومحمد سليمان ومحمد حمد الله، ولم ينس التاريخ أن يسجل في دفتر الوطنية اسم سيد عسران، وحسن سليمان حمودة، الصغيرين اللذين أظهرًا جسارة الأبطال في حب الوطن، الحب الذي نتشره منذ الطفولة، ويسري في عروقنا مع أول صور ملونة نفتح عيوننا عليها في كتب المطالعة، ومن اللعب في الشوارع ومشاعبة المارة مع أقراننا، ومن تهويدة الأمومة التي لا تفارق القلب، وشيئا فشيئا يصبح الوطن مقدسا وغاليا لملايين الأسباب المتصلة بالذاكرة والشعور واللغة والبيوت والأزمنة والأمكنة، وهكذا تجد ساعة الضيق الآف وملايين مستعدون للموت في سبيل بلادهم ببساطة ومن دون تردد ومن دون تفكير. عن الوطن المغروس في نفوسنا منذ الطفولة كتب يوسف إدريس قصته الجميلة " هي

.. هي لعبة " التي ضمتها مجموعة " قاع المدينة"، وفيها يكاد الكاتب العبقرى أن يسجل بطولة عسران وحسن لكن بطريقته، ويحكي فيها ادريس عن شعبان العائد من عمله إلى الحارة ويسمع شجارا بين زوجته وزوجة إبراهيم أفندي، وحين يدخل بيته يرى ابنه جالسا القرفصاء ورأسه معصوبا بمنديل عليه بقعة دم، وفي وجهه خرابيش. وماكاد الولد يرى أباه حتى بكى صارخا بصوت عال: " وأنا مالي.. هو اللي ضربني". وفكر شعبان: لا بد أن واحدا من أولاد إبراهيم أفندي هو الذي ضربه. ويزغر شعبان لابنه قائلاً: " وما ضربتوش ليه يا..؟" فبكى الولد وأقسم بالقرآن الشريف أنه أشبعه ضربا. ويتم التحقيق في الموضوع بحضور إبراهيم أفندي وشعبان وتتضح المسألة فقد كان الأولاد يلعبون خلال العدوان الثلاثي لعبة "الكنال" (القناة)، وقسموا أنفسهم إلى فريقين، فريق الجيش المصري المدافع عن بورسعيد وعلى رأسه ابن شعبان، وفريق الأسطول الانجليزي الذي يهاجم بورسعيد وعلى رأسه ابن ابراهيم أفندي، ووضع الأولاد خطأ على الأرض يفصل الفريقين قالوا عنه " هذه هي القناة"، فإذا عبر الأسطول الانجليزي هذا الخط يكون قد انتصر، وإذا عبر الجيش المصري يكون الأسطول مهزوما. واتفق الأولاد على أنه إذا هزم اثنان منهم يستسلم الباقيون في فريقهم. في اللعبة تمكن ابن ابراهيم أفندي من هزيمة ابن شعبان وبالتالي يكون الانجليز قد انتصروا في اللعبة. هنا يسألون ابن شعبان: " انتم اتفقتوا صحيح يا حبيبي؟". وتلجلج ابن شعبان وقال: " أيوه احنا اتفقنا.. بس .. بس". فيسألونه: " طيب ليه بقى سيادتك ما سلمتش زي ما اتفقتوا؟" فيقول ابن شعبان بدهشة واستغراب: " أسلم ازاي؟". فيقولون له: " زي ما اتفقتم .. ليه بقى ما سلمتش؟". قال الولد على الفور: " ما هو إذا سلمت ببقى اتغلبنا؟!". وهنا صاح ابراهيم أفندي: " تتغلبوا .. تتغلبوا ". وازداد الاستنكار في وجه الولد قائلاً: " إذا اتغلبنا يكسبوا هم، ولو سلمنا كانوا يأخذوا الكنال". قال ابراهيم أفندي: " ياخدوه ياخدوه". واندفع الولد بغضب حقيقي: " يأخدوه ازاي؟ هي .. هي لعبة ؟ ه .. هي لعبة؟". نعم، لا يكون الوطن لعبة أبدا، حتى عندما يكون الأمر لعبة.

تعريف الكاتب أحمد الخميسي

د. أحمد الخميسي. قاص وكاتب صحفي. مواليد القاهرة ١٩٤٨. في مايو ١٩٦٥ ظهرت أولى قصصه في مجلة صباح الخير، وفي مجلة " القصة " التي ترأس تحريرها حينذاك محمود تيمور، وبعدها بعام في ديسمبر ١٩٦٦ قدمه إلي القراء الكاتب الكبير يوسف إدريس في مجلة الكاتب. وفي ١٩٦٧ صدرت أولى مجموعاته القصصية " الأحلام، الطيور، الكرنفال" بالاشتراك مع زميلين آخرين. خلال تلك السنوات كان يعمل بالصحافة بدءاً من مجلة عام ١٩٦٥ في مجلة الاذاعة والتلفزيون، ثم في منظمة التضامن. في فبراير ١٩٦٨ اعتقل لنحو ثلاث سنوات في مظاهرات الطلاب التي قامت بتأييداً لمظاهرات عمال حلوان الذين احتجوا على صدور أحكام مخففة بحق قادة سلاح الطيران المسؤولين عن جانب من النكسة. بعد ذلك سافر إلي الاتحاد السوفيتي ودرس الأدب الروسي طالبا، ثم حصل على دكتوراه في الأدب من جامعة موسكو عام ١٩٩٢، ومن موسكو عمل مراسلا لجريدة الأهالي، وعدد من الصحف والمجلات العربية. عاد بعد ذلك إلي مصر، وتوالى ظهور مجموعاته القصصية وترجماته عن الروسية وكتبه الأخرى، منها ست مجموعات قصصية، فازت مجموعتان منها بجائزة ساويرس لأفضل قصص بين كبار الأدباء، وهي مجموعة "كناري" في ٢٠١٠، ثم مجموعة "أنا وأنت" في ٢٠١٥، وله مسرحية واحدة بعنوان "الجبيل" فازت بجائزة "نبيل طعمة" في دمشق، وقدم في الترجمة عن الروسية سبعة كتب منها مجموعة "رائحة الخبز"، و"نساء الكرملين"، و"نجيب محفوظ في مرآيا الاستشراق السوفيتي"، قدم أيضا خمسة كتب عبارة عن دراسات فكرية



الكاتب أحمد الخميسي

واجتماعية مهمة منها: "موسكو تعرف الدموع" في كتاب الأهالي، و"أوراق روسية"، و"عيون التحرير في الأدب والسياسة"، و"الباب المغلق بين الأقباط والمسلمين"، وقد حظي الخميسي بتكريم من اتحاد الأدباء العرب عن دوره في ترجمة الأدب الروسي إلى العربية واتحاد الكتاب الروس ومجلة ديوان العرب. وخلال رحلته الأدبية والفكرية الطويلة لم يتخل أحمد الخميسي لحظة عن موقفه الوطني والتنويري في كل ما كتبه، وكان دوما نصيرا لقضية الحرية.

"يقدم لنا القاص والكاتب الصحفي أحمد الخميسي كتابا جديدا من نوعه يحدثنا فيه عن بطولات وجسارة وشجاعة أبناء شعبنا الذين لا نعرف عنهم إلا القليل، أولئك الذين على حد قوله : " لم تلتقط العدسات صورهم، ولا سجلت أسماءهم، ولا حبات العرق وهي تلمع على جباههم"، إنهم أبطال في الطب وفي الدفاع عن الوطن وفي العلم وفي الانسانية. يقدم لنا الخميسي نماذج عديدة ليؤكد لنا شيئا واحدا أن البطولة حرفة المصريين التي يمارسونها بلا ادعاء، ولا تفاخر، لأنها جزء من صميم التكوين المصري"



كراسات التحالف